

نؤمن بالروح القدس

في العالم

الدرس الثاني

نص الدرس

 **thirdmill**

تعليمٌ كتابيٌّ للعالم. مجاناً.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندريك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة 1997، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم:

تعليمًا كتابيًا. للعالم. مجانًا.

هدفنا هو توفير التعليم المسيحي بالمجان لمئات الآلاف من القساوسة والقادة المسيحيين في جميع أنحاء العالم الذين يفتقرون إلى التدريب الكافي للخدمة. نحقق هذا الهدف من خلال إنتاج وتوزيع منهاج لاهوتي متميز بوسائط إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي الإنجليزية، والعربية، والماندرين الصينية، والروسية، والإسبانية. كما يتم ترجمة مناهجنا إلى أكثر من اثنتي عشرة لغة أخرى من خلال شركائنا في الخدمة. يتكون المنهاج من دروس الفيديو المبني على الرسوم التصويرية، وتعليمات مطبوعة، وموارد على الإنترنت. وهو مصمم لاستخدامه من قبل الكليات، والمجموعات، والأفراد، سواء عبر الإنترنت أو في مجموعات للدراسة.

على مر السنين، قمنا بتطوير طريقة فعّالة من حيث التكلفة لإنتاج دروس الوسائط المتعددة والحائزة على جوائز لأفضل المحتويات والجودة. إن كتابنا ومحررينا مؤهلون من الناحية اللاهوتية، والمترجمون لدينا مدربون لاهوتيًا ومتحدثون أصليون للغات المستهدفة. كما تحتوي دروسنا على اسهامات لمئات من أساتذة اللاهوت والرعاة من جميع أنحاء العالم. بالإضافة إلى ذلك، يلتزم مصممو الرسومات، والفنانون، والمنتجون لدينا بأعلى معايير الإنتاج باستخدام أحدث التجهيزات والتقنيات.

من أجل تحقيق أهدافنا للتوزيع، أقامت خدمات الألفية الثالثة علاقات استراتيجية للشراكة مع الكنائس، كليات اللاهوت، المعاهد الدينية، المرسلين، القنوات الإذاعية والمحطات التلفزيونية الفضائية المسيحية، وغيرها من المؤسسات. وقد أدت هذه العلاقات بالفعل إلى توزيع عدد لا يُحصى من دروس الفيديو على القادة، والقساوسة، وطلاب اللاهوت المحليين. تعمل مواقعنا على شبكة الإنترنت أيضًا كطرق للتوزيع وتوفر مواد إضافية لاستكمال دروسنا، بما في ذلك إرشادات حول كيفية بدء مجموعة للدراسة خاصة بك.

تعترف مصلحة الضرائب الأمريكية بهيئة خدمات الألفية الثالثة باعتبارها مؤسسة خاضعة للإعفاء الضريبي. إننا نعتمد على التبرعات السخية من الكنائس، والمؤسسات، والشركات، والأفراد. للمزيد من المعلومات عن خدماتنا، ولمعرفة كيفية المشاركة،

يُرجى زيارة موقعنا على الإنترنت: <http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

I	المقدمة
II	الخلق
III	العناية
	أ. الطبيعة
	ب. البشر
IV	الإعلان
	أ. النماذج
	1. الإعلان الطبيعي والإعلان الفائق للطبيعة
	2. الإعلان الفدائي والإعلان غير الفدائي
	3. الإعلان العام والإعلان الخاص
	4. الإعلان بالعمل والإعلان بالكلمة
	5. الإعلان غير المباشر والإعلان المباشر
	ب. المصدر
	1. وحي النبوة والكتاب المقدس
	2. الاستتارة والإرشاد الداخلي
	3. القوّات، والآيات، والعجائب
V	النعمة العامة
	أ. تعزيز الخير
	ب. تعزيز الحياة
VI	الخاتمة

نؤمن بالروح القدس

الدرس الثاني
في العالم

المقدمة

في مواضع وأزمنة مختلفة، افترض بعض الفلاسفة أن الله خلق العالم، وتركه لحاله. وظلّ العالم بعدها يعمل باستقلالٍ عنه. توجد عناصر من هذا المفهوم في كتابات الفلاسفة اليونانيين القدماء، على سبيل المثال. لكن صار هذا الرأي أكثر شيوعاً في القرنين السابع عشر والثامن عشر، من خلال الفلسفة التي عُرفت باسم "الربوبية". اشتهرت الربوبية بوصفها لله باعتباره إلهًا يصنع الساعات وبأن الخليقة هي الساعة. وعلمت هذه الفلسفة أن الله خلق الساعة وأدارها، ثم وضعها فوق الرف وتركها تعمل. ولم يلمسها منذ ذلك الحين.

ولكن يرسم لنا الكتاب المقدس صورةً مختلفةً تمامًا. فإن الخليقة، بالنسبة للإله الحقيقي، ليست ساعة. لكنّها مملكة، يقطنها مواطنون. ويعضد الله إيجابياً وبفاعلية هذه المملكة ويديرها، كما أنه يقيم علاقاتٍ مع سكّانها. وأقنوم الثالوث الذي يتعامل مع العالم بصورة مباشرة من هذه النواحي هو الروح القدس.

هذا هو الدرس الثاني في سلسلة نؤمن بالروح القدس، وقد وضعنا له عنواناً، "في العالم". في هذا الدرس، سنسلط الضوء على عمل الروح القدس في الخليقة ككل. سندرس أربعة جوانب من عمل الروح القدس في العالم. أولاً، سنشرح عمله في الخلق حين بدأ الكون. ثانياً، سننظر إلى عمل عنايته المستمر، الذي به يدعم الخليقة ويديرها. وثالثاً، سنتناول الإعلان الذي يقدمه في كل أنحاء الخليقة. ورابعاً، سنتحدث عن النعمة العامة التي يبديها تجاه البشر بوجه عام. لنتناول أولاً عمل الروح في الخلق.

الخلق

يطرح السؤال 15 في دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر المفصل، الذي صدر في عام ألف وستمئة وسبعة وأربعين م.، السؤال التالي:

ما هو عملُ الخلق؟

استمع إلى جوابِ الدليل:

عملُ الخلقِ هو الذي فيه صنعَ اللهُ، في البدءِ، بكلمةِ قدرتهِ، العالمَ من العدم، وكلَّ ما فيه، لذاتهِ، في مدَّةِ سنتِ أيامٍ، والكلُّ حسنٌ جدًّا.

في هذا الجواب، يربطُ الدليلُ عملَ اللهِ الخالقِ في الأساسِ بالخلقِ الأولِ للكون. إلا أن نصوصَ الكتابِ المقدسِ المرتبطةَ عادةً بهذا الجوابِ تُقرُّ بأن الخلقَ يشملُ أيضًا خلقَ أشياءٍ جديدةٍ بصورةٍ مستمرة، مثلَ خلقِ أناسٍ من البشر.

في درسٍ سابق، ذكرنا إن قانونَ إيمانِ الرسلِ يَنسِبُ عملَ الخلقِ إلى الآب. وصحيحٌ تمامًا أن الآبَ كان هو المبادرُ بالخلق. لكن يوضحُ الكتابُ المقدسُ أيضًا أن الابنَ والروحَ القدسَ اشتركا في هذا العمل. على سبيلِ المثال، تقولُ رسالةُ 1 كورنثوس 8: 6 إن الخليقةَ تأتي من الآبِ والابنِ. وقد اتفقَ علماءُ اللاهوتِ بوجهٍ عامٍ على أن الروحَ القدسَ كان هو أُنومُ الثالوثِ الذي نَفَّذَ العملَ، بحسبِ خطةِ الآب، وبواسطةِ الابن.

وعبرَ التاريخ، لجأ علماءُ اللاهوتِ إلى سفرِ التكوينِ الأصحاحِ الأولِ لإظهارِ عملِ الروحِ القدسِ الأولِ في الخلق. يصفُ هذا الأصحاحُ كيف خلقَ اللهُ الكونَ وكلَّ ما فيه "بكلمةِ قدرتهِ". استمعَ إلى بدايةِ القصةِ في سفرِ التكوينِ 1: 1-2:

فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. وَكَانَتِ الْأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْعُمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ (التكوين 1: 1-2).

كما رأينا في درسٍ سابق، لا يقدمُ العهدُ القديمُ الروحَ القدسَ باعتباره أُنومًا مميزًا في الذاتِ الإلهية. ولكنه مع ذلك يشيرُ بالفعلِ إلى أن اللهُ خلقَ العالمَ بروحِهِ. وفي ضوءِ إعلانِ العهدِ الجديدِ عن روحِ اللهِ، يصيرُ من المنطقيِّ أن نعتبرَ أن أعمالَ الخلقِ هذه هي أعمالُ الروحِ القدسِ.

يقولُ الأصحاحُ الأولُ من سفرِ التكوينِ إنه في أثناءِ الخلقِ كان الروحُ القدسُ "يرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ". استُخدمتِ الكلمةُ العبريةُ **راحاف** (רָחַף) المترجمةُ "يرِفُّ" مرةً واحدةً أخرى فقط في أسفارِ موسى الخمسة. في سفرِ التثنية 32: 11، استخدمَ موسى صورةً بلاغيةً عن نسرٍ يعتني بفراخِهِ،

ليصفَ بها علاقةَ اللهِ بإسرائيل. يستخدمُ هذا النصُّ كلمةَ **راحاف** (רַחַב) لتصويرِ طائرٍ قويٍّ يعتني بفراخه ويطعمها. وبالتالي، حينَ نقرأُ أنَ روحَ اللهِ كانَ يرفُّ على وجهِ مياهِ الخليقة، يوحي هذا بأنَ الروحَ كانَ هوَ الوالدُ الذي صمَّمَ الخليقةَ واعتنى بها بحسبِ كلمةِ الله.

تحدثَ جون أوين، الكاتبُ البيوريتانيُّ التطهيريُّ وعالمُ اللاهوتِ الذي عاشَ في الفترةِ من 1616-1683 م.، عن القوةِ الخالقةِ للروحِ القدسِ في كتابهِ **حديثٌ عن الروحِ القدس**. وفي الجزءِ 1، والفصلِ 4، وصفَ عملَ الروحِ القدسِ في الأصحاحِ الأولِ من سفرِ التكوينِ كالتالي:

دونهُ كانَ الكلُّ مياهاً ميتةً، وأعماقاً مضطربةً، على وجهها ظلمة، عاجزةً عن الإتيانِ بشيءٍ ... لكن حينَ تحركَ روحُ اللهِ على وجهها، انتقلتْ أسُسُ جميعِ تلكِ الأنواعِ، والأصنافِ، وصورِ الأشياءِ التي ... تشكلُ مجموعتهِ وزينتهِ، إليها.

بالرغمِ من قِدَمِ اللغةِ هنا إلى حدِّ ما، لكنَّ أوينَ رأى أنه قبلَ أنَ يشكِّلَ الروحُ القدسُ الخليقةَ، لم تكنْ تتكوَّنُ سوى من مياهٍ فوضوية، خاليةٍ من الحياة. لكن حينَ تحركَ الروحُ القدسُ، خلقَ الترتيبَ والحياةَ.

كما رأينا في سفرِ التكوينِ 1: 1، 2، قبلَ عملِ الروحِ القدسِ، كانتِ الخليقةُ "خربةً وخاليةً". توحى الصورةُ بالظلمةِ والفوضى. لم يكنْ نورٌ، ولا ترتيبٌ أو شكلٌ، ولا نباتاتٌ، ولا مخلوقات. لكن كما نقرأُ في سفرِ التكوينِ 1: 3-31، غيَّرَ روحُ اللهِ كلَّ ذلك. في الأيامِ الثلاثةِ الأولى، تعاملَ الروحُ مع الخرابِ وانعدامِ الشكلِ في الخليقة. ففي اليومِ الأولِ، خلقَ النورَ، بالإضافةِ إلى نطاقاتِ النهارِ والليلِ. وفي اليومِ الثاني، خلقَ الجلدَ الذي فصلَ بينَ المياهِ. نشيرُ عادةً إلى هذا الجلدِ بأنه الغلافُ الجويُّ أو المناخُ الهوائيُّ الذي يفصلُ السحبَ المليئةَ بالمياهِ عن العالمِ أدناه. وفي اليومِ الثالثِ، جمعَ المياهَ معاً كي يخلقَ اليابسةَ، والنباتاتِ التي تنمو فوقها. في أثناءِ هذهِ الأيامِ الثلاثةِ، صمَّمَ الروحُ حدودَ الخليقةِ بترتيبِ النهارِ والليلِ، والغلافِ الجويِّ والمياهِ، واليابسةِ ونباتاتها.

في الأيامِ الثلاثةِ التالية - من اليومِ الرابعِ وحتى اليومِ السادسِ من أسبوعِ الخلقِ - تعاملَ روحُ اللهِ مع خُلُقِ الخليقة. وفعلَ هذا بأنَ ملأَ النطاقاتِ المختلفةَ التي كانَ قد خلقها قبلاً. ففي اليومِ الرابعِ، خلقَ الشمسَ، والقمرَ، والنجومَ، لتملأَ نطاقاتِ النهارِ والليلِ التي كانَ قد خلقها في اليومِ الأولِ. وفي اليومِ الخامسِ، خلقَ المخلوقاتِ البحريةِ والطيورَ، مألأً نطاقاتِ المياهِ والغلافِ الجويِّ

التي كان قد خلقها في اليوم الثاني. وفي اليوم السادس، خلق حيوانات اليابسة والبشر ليملاً نطاق اليابسة الذي كان قد خلقه في اليوم الثالث.

وإلى جانب الأصحاح الأول من سفر التكوين، تنسب نصوص كتابية أخرى عديدة عمل الله الخالق إلى روحه. على سبيل المثال، قدم سفر إشعياء 40: 12-13 الوصف التالي لدور الروح في تكوين الخليقة:

مَنْ كَالِ الْمِيَاهِ بِكِفِّهِ وَقَاسَ السَّمَاوَاتِ بِالسَّبْرِ وَكَالَ تُرَابِ الْأَرْضِ بِالْكَفْلِ وَوَزَنَ الْجِبَالَ بِقَبَانٍ، وَالتَّلَالَ بِمِيزَانٍ؟ مَنْ أَرْشَدَ رُوحَ الرَّبِّ أَوْ كَانَ لَهُ مُشِيرًا فَعَلَّمَهُ؟ (إشعياء 40: 12-13، ترجمة كتاب الحياة).

بالطبع تُعدُّ الإجابة الضمنية هي "لا أحد". وحده روح الله هو من فعل كل هذا. وتحدثت المزمور 104: 24-30 عن عمل الروح في ملء الخليقة كالتالي:

مَا أَعْظَمَ أَعْمَالِكَ يَا رَبُّ! كُلُّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ. مَلَأْتَهُ الْأَرْضُ مِنْ غِنَاكَ. هَذَا الْبَحْرُ الْكَبِيرُ الْوَاسِعُ الْأَطْرَافِ. هُنَاكَ دَبَابَاتٌ بِلَا عَدَدٍ. صِغَارُ حَيَوَانٍ مَعَ كِبَارٍ ... تَنْزِعُ أَرْوَاحَهَا فَتَمُوتُ، وَإِلَى تُرَابِهَا تَعُودُ. تُرْسِلُ رُوحَكَ فَتُخَلِّقُ، وَتَجِدُّ وَجْهَ الْأَرْضِ (المزمور 104: 24-30).

يُذَكِّرُ هذا النصُّ خلقَ أشياء كالمياه، والنباتات، والمخلوقات. وينسبُ هذا العمل إلى الروح.

في أثناء أسبوع الخلق، كان الروح القدس نشيطاً للغاية. فقد لعب دوراً إيجابياً. ويقول تكوين 1: 2 إن الروح القدس رفَّ أو كان يرفُّ على وجه المياه ... وحين فكرت في ذلك، فكرت في مدى تشابه هذا مع ما يعملهُ الروح القدس في قلب شخصٍ يقوم بتجديده. أعتقد أن الرفرفة تشير بشكلٍ ما إلى منح الروح القدس للحياة. نستأ أفهم الكثير عن الأصحاح الأول من التكوين، لكن يبدو أنه كان هناك كونٌ ماديٌّ بصورةٍ ما كان الروح القدس يرفُّ فوقه، وكان ذلك تمهيداً لكي يشكّل الله كلَّ شيءٍ مما كان موجوداً بالفعل. وهكذا، رفَّ الروح القدس على وجه

المياه. فقد كان عاملاً، مع ابن الله، والآب، أي جميع أقانيم الثالوث معاً، في
أثناء الخلق.
— ق. مايك أربورن

بعد أن تناولنا عمل الروح القدس في العالم في أثناء أسبوع الخلق، لنوجّه انتباهنا الآن إلى
أعمال عنايته طوال بقية التاريخ.

العناية

أحياناً ما نَقَهْمُ التقاليد اللاهوتية تفاصيل العناية من نواحٍ مختلفة. لكن، بوجهٍ عامٍ، يفهمها
الإنجيليون بأنها:

عمل الله في إدارة كلّ الخليقة وتعضيدها، بما في ذلك المخلوقات، والأفعال،
والأشياء.

تشمل العناية في الأساس كلّ ما يعملُه الروح القدس في العالم عبر التاريخ. ولكن، لأجل
تبسيط الأمور، سنخُصُّ حديثنا في الأعمال العامة للعناية. وسنتناول الكثير من عناصرها
كموضوعات منفصلة في هذا الدرس وفي الدروس التالية.
على الأغلب، لا تُمَيِّزُ نصوص الكتاب المقدس التي تدورُ حول العناية بين أقانيم الثالوث.
لذلك ينبغي أن نقرّ في الحال بأن الثالوث ككلّ مشترك في عمل العناية الإلهية. لكن في هذه
النصوص، لا تزال هناك إشارات كافية إلى الروح تمكّناً من تسليط الضوء على دوره.
سنوجِّزُ عمل عناية الروح القدس في جزأين. أولاً، سنسلطُ الضوء على عمله في مجال
الطبيعة. وثانياً، سنتحدث عن عمله بالأخص بين البشر. لنتناول الطبيعة أولاً.

الطبيعة

عندما ندرس الطبيعة من منظورٍ علميٍّ، تظهرُ وكأنَّها يمكنُ أن تكونَ قائمةً بذاتها. حيث يبدو أن المناخَ، والجغرافيا، وعلمَ الأحياءِ هي أنظمةٌ آليَّةٌ نسبيًّا تسيَّرُ بحسبِ قوانينٍ طبيعيَّةٍ مُتَّسِقَةٍ. ويمكنُ قولُ نفسِ الشيءِ عن العلومِ الطبيعيَّةِ الأخرى مثلِ علمِ الفلكِ، والكيمياءِ، والفيزياءِ وغيرِ ذلك. ولكنَّ يُعَلِّمُ الكتابُ المقدسُ أننا لكي نفهمَ الطبيعةَ فهماً سليماً، علينا أن نُدركَ أن اللهَ خلقَها، وأنه هو يديرُ كلَ أنظمتها ويدعّمها. كما قالَ كاتبُ المزمورِ في المزمورِ 135: 6-7:

كُلُّ مَا سَاءَ الرَّبُّ صَنَعَ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ، فِي الْبَحَارِ وَفِي كُلِّ الْوَادِي.
الْمُصْعِدُ السَّحَابِ مِنَ أَقْصَى الْأَرْضِ. الصَّانِعُ بُرُوقًا لِلْمَطَرِ. الْمُخْرِجُ الرِّيحِ مِنْ
خَزَائِنِهِ (المزمور 135: 6-7).

كانت أكثرُ المظاهرِ إثارةً لقوةِ عنايةِ اللهِ في الطبيعةِ هي دونَ شكِّ الطوفانُ الذي وقعَ في أيامِ نوح. يشيرُ سفرُ التكوينِ 6-9 إلى إغراقِ اللهِ للعالمِ أجمعَ رداً على شرِّ البشر. ويشيرُ سفرُ التكوينِ 6: 3 إلى دورِ الروحِ في تنفيذِ هذه الدينونة. أيضاً تظهرُ قوةُ اللهِ في الطبيعةِ من خلالِ الضرباتِ على أرضِ مصرِ في سفرِ الخروجِ 7-12. كما نراها في شقِّ البحرِ الأحمرِ في سفرِ الخروجِ 14. كذلك نرى أروعَ قوةٍ مارَسها الروحُ على الطبيعةِ في أثناءِ معركةِ بني إسرائيلَ معِ الأموريين حينَ وَقَعَتِ الشمسُ في كبدِ السماءِ "حَتَّى انْتَقَمَ الشَّعْبُ مِنْ أَعْدَائِهِ"، كما نقرأُ في سفرِ يشوعِ 10: 13.

كما أوضحَ اللهُ نفسه تحكُّمه العاديِّ بعملِ عنايةِ في الطبيعةِ في سفرِ أيوبِ 38-41. حيث ذكرَ سلطانه على الأرضِ، والبحرِ، والنهارِ والليلِ، والمناخِ، وعلى مجموعةٍ من الحيوانات. وفي حينِ لا يميِّزُ سفرُ أيوبِ بينِ أقانيمِ الثالوثِ، لكنَّ يشيرُ سفرُ أيوبِ 34: 14، 15 إلى كونِ روحِ اللهِ هو من ينفِذُ مشيئته الإلهيةَ في العالمِ.

يُعَلِّمُ الكتابُ المقدسُ أيضاً أن الروحَ القدسَ يديرُ العالمَ بحيثُ يجددُ ملامحه بصورةٍ مستمرةً، ويضبطُ ما فيه من مخلوقات. مثلاً، كما يخبرنا المزمورُ 135، هو من يكوِّنُ المطرَ، والسحبَ، والرياحَ، وعناصرَ أخرى. وفي مواضعٍ مثلِ المزمورِ 65، نرى أنه يغيِّرُ جغرافياً الأرضَ بخلقِ

الأنهار، والوديان، والآكام، والبراري. وفي الكثير من المواضع الأخرى، يهبُ حياةً جديدةً في صورة نباتات، وحيوانات، وبشر. فكلُّ جديدٍ يظهرُ في الخليقة هو نتاجُ عملِ الروح. ربما تتذكَّرُ أن المزمورَ 104 يسلِّطُ الضوءَ على أعمالِ الروح القدس في الخلق. يتحدثُ المزمورُ نفسه أيضاً عن عملِ العناية. فيذكُرُ كيف يجعلُ اللهُ العيونَ تصبُ مياهها في الأودية. ويترنُّمُ عن تدبيره طعاماً للحيوانات. كما يبدي إعجابَه بالحياة التي يهبُّها للنباتات والأشجار، والمسكنِ التي يدبِّرها للطيور والحيوانات الأخرى. ويؤكدُ لنا تحكُّمه في الشمس والقمر، والليل والنهار، والمواسم السنوية. تبدو هذه جميعها أنظمةً طبيعية. لكنَّ الله يتحكَّم بها جميعاً. استمع إلى المزمور 104: 24-30:

يَا رَبُّ ... مَلَأْتَهُ الْأَرْضَ مِنْ غَنَاكَ. ... كُلُّهَا إِيَّاكَ تَتَرَجَّى لِتَرْزُقَهَا قُوَّتَهَا فِي حِينِهِ
... تَفْتَحُ يَدَكَ فَتَشْبَعُ خَيْرًا ... تَنْزِعُ أَرْوَاحَهَا فَتَمُوتُ، وَإِلَى تُرَابِهَا تَعُودُ. تُرْسِلُ
رُوحَكَ فَتُخَلِّقُ، وَتُجَدِّدُ وَجْهَ الْأَرْضِ (المزمور 104: 24-30).

عَلَّمَ كَاتِبُ الْمَزْمُورِ أَنَّ اللَّهَ لَا يُعِدُّ حَرْفِيًّا قُوَّتًا لِكُلِّ مَخْلُوقٍ، ثُمَّ يُطْعِمُهُ بِيَدِهِ. فَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّ الْحَيَوَانَاتِ تَأْكُلُ بِحَسَبِ الدُّورَاتِ وَالتَّسْلِسَلَاتِ الَّتِي نَشِيرُ إِلَيْهَا أَحْيَانًا بِاسْمِ "السَّلَاسِلِ الْغِذَائِيَّةِ". فَمِنْ مَنْظُورٍ أَرْضِيٍّ، تَبْدُو هَذِهِ الْعَمَلِيَّةُ نِظَامًا طَبِيعِيًّا، يَدِيرُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ. لَكِنْ يَنْظُرُ الْكِتَابُ الْمَقْدَسُ إِلَى مَا وَرَاءَ هَذَا الْفَهْمِ السُّطْحِيِّ لِيَرَى اللَّهَ يَدِيرُ هَذِهِ السُّلُوكِيَّاتِ. نَرَى أَفْكَارًا مِمَّاثِلَةً فِي سَفَرِ إِشْعِيَاءَ 34: 15، 16.

قَالَ كَاتِبُ الْمَزْمُورِ أَيْضًا إِنَّ اللَّهَ يَدِيرُ الْخَلِيقَةَ بِطَرِيقَةٍ تُخَلِّدُ الْحَيَاةَ، لَكِنْ أَيْضًا تَجِدُّهَا. وَعَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ، لَا يَمُوتُ أَيُّ مَخْلُوقٍ دُونَ تَدَخُّلِ اللَّهِ فِي هَذَا. فَهُوَ يَدْعُمُ نَفْسَهَا، أَوْ رُوحَهَا، بِدَاخِلِهَا لِيَقْبِيَهَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ. ثُمَّ يَنْزِعُ ذَلِكَ النَّفْسَ أَوْ الرُّوحَ حِينَ يَحِينُ وَقَتَ مَوْتِهَا. وَنَسَبَ كَاتِبُ الْمَزْمُورِ هَذَا النُّوعَ مِنَ التَّعَامُلِ مَعَ الْخَلِيقَةِ إِلَى رُوحِ اللَّهِ.

لَجَأَ يَسُوعُ إِلَى فِكْرَةٍ مِمَّاثِلَةٍ فِي مَوْعِظَتِهِ عَلَى الْجَبَلِ حِينَ شَجَعَ مَسْتَمْعِيهِ عَلَى التَّوَقُّفِ عَنِ الْفَلَقِ حِيَالَ ضَرُورِيَّاتِ الْحَيَاةِ. اسْتَمَعَ إِلَى كَلِمَاتِ يَسُوعَ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى 6: 26-33:

أَنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمْ
السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا ... تَأْمَلُوا زَبَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لَا تَتَّعَبُ وَلَا تَعْرَلُ. وَلَكِنْ أَقُولُ

نَكْم: إِنَّهُ وَلَا سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا ... اظْطَبُوا أَوْلًا مَلَكُوتَ
اللَّهِ وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ (متى 6: 26-33).

كانت الفكرة التي طرحها يسوع هي أنه إن طلب الإنسان ملكوت الله وبره، فسيعمل الله في
عنايته ليسدد حاجاته اليومية.

عندما نتحدث عن عناية الله، نعني بذلك اهتمام الله المستمر بخليقته وبجميع
مخلوقاته. لسنا نكتفي بالإيمان بأن الله خلق العالم، ثم بشكل ما انصرف ليفعل
شيئاً آخر. لا، بل يستمر الله في تعضيد ومساندة العالم بكلمة قدرته، وبروحه.
عندما نفكر في تسديد الله إلى ما نحتاج إليه من طعام، وماء، وهواء، وكل
الأشياء التي نعتبرها مسلماً بها، نجد أن الله هو من يعطيها.

— ق. د. جاستين تيري

علينا أن نتوقف قليلاً للإشارة إلى أن يسوع نَسَبَ أعمالَ عنايةِ الله إلى الآب. وقد فعلَ هذا
كي يشدّد على سلطان الآب على مملكته. لكن يشترك علماء اللاهوت معاً في إقرارهم بأنه في حين
يقضي الآب بعمل العناية، إلا أن الروح القدس هو من ينفذ هذه الأحكام. نرى هذا في مواضع مثل
إنجيل متى 10: 20، وإنجيل لوقا 11: 13. ونرى أفكاراً مرتبطة بهذا في مواضع مثل إنجيل يوحنا
15: 26؛ وسفر أعمال الرسل 2: 33؛ ورسالة 1 بطرس 1: 2.
بعد أن تحدثنا عن العناية في الطبيعة، لنتناول كيف يعمل الروح القدس في البشر.

البشر

نظراً لكون البشر جزءاً من العالم الطبيعي، تنطبق الأشياء نفسها التي ذكرناها عن الطبيعة
علينا نحن أيضاً. يتحكّم الله في بيئتنا ويديرها، كما نرى في المزمور 135: 6، 7. وهو يتحكّم في
مصادر غذائنا، بل وفي نجاح تكاثرنا، كما نقرأ في سفر التثنية 7: 13. فإن روحه هو مصدر
حياتنا، كما نقرأ في سفر أيوب 33: 4. وهو لا يفعل هذا فقط من خلال دعم أنظمة العالم الطبيعية.

بل كما سنرى، يتحكّم الروح في البشر أيضًا من خلال التأثير على ظروفنا، وأجسادنا، بل وعلى عقولنا تأثيرًا مباشرًا.

وبينما يُدير الروح القدس العالم بعنايته، فهو يؤثر أيضًا في البشر بطرقٍ كثيرةٍ ومختلفة. أحيانًا ما يثير هذا قلق المؤمنين، بل وربما استياءهم. فنحن نقلق من كونه ربما ينتهك إرادتنا، أو يدفعنا إلى التفكير في أشياء خاطئة أو فعلها. بل وأحيانًا ما نتهمه بارتكاب الخطأ وبالظلم حين يسمح لنا بأن نتألم. وبالتالي، فإن أول شيء لا بد أن نضعه في اعتبارنا هو أن الروح القدس لا يخطئ إطلاقًا. فهو لا يسيء معاملتنا أو يسيء إلينا البتة. أما الشيء الثاني الذي لا بد أن نتذكره هو أنه دائمًا ما يعمل للمنفعة النهائية للمؤمنين. فربما تكون الحياة الآن مؤلمة. لكن كل الألم الذي نقاسيه سينتج عنه في النهاية بركاتٍ أبدية. وبالرغم من معالجة تقاليد لاهوتيةٍ مختلفةٍ لهذه الأفكار بطرقٍ متنوعة. لكن على جميع المؤمنين بالكتاب المقدس أن يؤكدوا على أن عمل عناية الروح القدس هو دائمًا عملٌ صالحٌ ونقيٌّ بقدر صلاح ونقاء الروح نفسه. استمع كيف أوجز بولس نطاق عمل العناية في سفر أعمال الرسل 17: 24-26:

الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه ... إذ هو يُعطي الحياة ونفسًا وكل شيء ... وحتّم بالأوقات المعيّنة وبحدود مسكنهم (أعمال الرسل 17: 24-26).

يبدو أن بولس كان يقصد هنا الروح القدس، إذ تحدّث عن كون الله هو من يعطينا حياة ونفسًا. وأشار إلى أن عمل عناية الروح يتضمن منحنا كل شيء، والتحكّم في الأوقات، والمسكن الذي نعيش فيه.

لا يكتفي الروح القدس بحفظ العالم كيما نحيا فيه، بل هو فعليًا يُدير الظروف الخاصة في حياتنا، ومن ناحية ما، الخيارات التي نتخذها. بالطبع، نُقر جميعنا بهذا الجانب من عمل الروح القدس في كل مرة نُصيّق فيها على معجزات الشفاء والإقامات من الأموات التي نجدّها في الكتاب المقدس. كما أننا نقبل عمل عناية الروح في حياتنا حين نصلي، مؤمنين بأن الله قادر بل ويريد أيضًا تغيير ظروفنا، وحالتنا الصحية، وآجالنا، بل وعقولنا وأرواحنا.

يُسجل الكتاب المقدس بعض الأمثلة المتطرفة للغاية عن تحكّم الروح القدس في حياة البشر. على سبيل المثال، في سفر التثنية 2: 30، 31، علم موسى بأن الله قسّى روح سيحون ملك حشبون وقوى قلبه. وكان هذا كيما يهزم بنو إسرائيل سيحون وجيشه، فتسقط أمّتهم تحت سيطرة إسرائيل.

وفي سفر الخروج 10: 20، 27، 11: 10، قسى الله قلب فرعون، ملك مصر، فرفض إطلاق بني إسرائيل من العبودية. ونتيجة لهذا، تعرض فرعون وشعبه لضربات الظلام، وموت الأبقار.

ويُخَيِّئ المزمور 135: 6-12 نكرو تحكّم الروح بعمل عنايته في سيحون، وفرعون، وملوك آخرين، كالتالي:

كُلَّ مَا شَاءَ الرَّبُّ صَنَعَ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ... الَّذِي ضَرَبَ أَبْكَارَ مِصْرَ ...
الَّذِي ضَرَبَ أُمَّمًا كَثِيرَةً، وَقَتَلَ مُلُوكًا أَعْرَاءَ: سِيحُونَ مَلِكِ الْأُمُورِيِّينَ، وَعُوجَ مَلِكِ
بَاشَانَ، وَكُلَّ مَمَالِكِ كَنْعَانَ. وَأَعْطَى أَرْضَهُمْ ... لِإِسْرَائِيلَ شَعْبِهِ (المزمور 135:
6-12).

يُذَكِّرُ في الكتاب المقدس العديد من المرات أن الله كلَّ ما شاء صَنَعَ، عادةً كتأكيد على أن الله يَدْعَمُ إيجابياً تاريخ البشر ويوجِّهه.

كمثال آخر، في الأصحاح الرابع من سفر دانيال، عاقب الله نبوخذنصر، ملك بابل، بانتزاع سلطانه الملوكي وأيضاً سلامته العقلية منه. فعاش نبوخذنصر وسط حيوانات البر، وأكل العشب، إلى أن انتهى الوقت المعين. ثم ردَّ له الله عقله وعرشه. وفي اتضاعه الجديد، تأمل نبوخذنصر في سلطان عناية الله. استمع إلى ما قاله نبوخذنصر في سفر دانيال 4: 35:

وَهُوَ [الله] يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسَكَّانِ الْأَرْضِ، وَلَا يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ
أَوْ يَقُولُ لَهُ: «مَاذَا تَفْعَلُ؟» (دانيال 4: 35).

وكما في المزمور 135، أشار نبوخذنصر إلى أن الله يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ. فهو يتحكّم في قرارات البشر وأفعالهم لينتّم مقاصده. أو كما نقرأ في المزمور 33: 10-11:

الرَّبُّ أَبْطَلَ مُؤَامَرَةَ الْأُمَمِ ... أَمَّا مُؤَامَرَةُ الرَّبِّ فَالَى الْأَبَدِ تَثْبُتُ (المزمور 33: 10-11).

كلما فكّرنا في عمل العناية العامة الذي يُجريه الروح القدس من جهة أشياء كالحكومات أو الملوك أو الأمراء أو الدول في أنحاء العالم، علينا أن نتذكّر ما يُخبرنا به الأصحاح الثالث عشر من رسالة رومية بأن الحكومات أُقيمت لمعاقبة الشر في العالم، وتعزيز الخير. لكن أظن أن أهم ما يجب أن نتذكّره بشأن عمل الروح القدس في الحكومات والملوك والدول هو ما يُخبرنا به الكتاب المقدس عن المَسِيَّا الملك الذي سيقمّه الله ليتسلط على الخليقة الجديدة. يتحدث إشعياء 11 عنه باعتباره هو من سيحلّ عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، وروح المشورة والقوة، والمعرفة ومخافة الرب. ولأن روح الله حالّ على المسيا العظيم على ذلك النحو، فهو لا يكتفي بكبح الشر، لكنه أيضًا يعزّز الخير تعزيزًا كاملاً. ويعزّز البرّ في كل أنحاء الخليقة الجديدة ككل. وهكذا، حين نفكر في عمل الروح فيما يتعلق بالسياسة والقادة السياسيين، يمكن أن نفكر في هذا الجانب الأكثر عمومًا حيث يكبح الروح الشرّ داخل السياسيين غير المؤمنين، بشكل خاص، بل وأيضًا السياسيين المؤمنين، كيما يصيروا ممّن يعاقبون الشرّ ويدعمون الخير. إلا أن التعبير الأهم عن هذا هو انسكاب الروح القدس على المسيا كيما يُنبت البرّ في العالم من أقصى الأرض إلى أقصاها.

— د. ريتشارد برات، الابن

تتجاوز سيطرة الله على البشر بعنايته الملوك والدول لتصل إلى كل إنسان، وكل جانب من جوانب حياتنا. وكما يؤثر الله في ظروفنا، يتحكّم أيضًا في قلوبنا وعقولنا. رأينا بالفعل كيف يحدث هذا مع قادة الدول. ويحدث الشيء نفسه مع كل إنسان آخر. استمع إلى ما يقوله المزمور 33: 13-15:

مِنَ السَّمَاوَاتِ نَظَرَ الرَّبُّ. رَأَى جَمِيعَ بَنِي الْبَشَرِ ... الْمُصَوِّرُ قُلُوبَهُمْ جَمِيعًا،
الْمُنْتَبِهَةُ إِلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمْ (المزمور 33: 13-15).

في عمل العناية هذا، الروح يصوّر قلوب جميع بني البشر. فهو يشكّل عواطفنا، ومعتقداتنا، والتزاماتنا، ورجباتنا — أي كلّ ما يساهم في هويتنا وأفعالنا.

فيما يتعلّق بالبشر بوجه عام، أحيانًا ما يكون عملُ عنايةِ الروحِ القدسِ هو التنفيذُ المروّعُ للدينونةِ الإلهية. مرّةً أخرى، يمكنُ أن ننظرَ إلى الطوفانِ العالميِّ الذي وقعَ في أيامِ نوح، أو في الضرباتِ على أرضِ مصر. والكثيرُ من أعمالِ الروحِ الأخرى هي بالمثلِ مدمرةٌ لغيرِ المؤمنين. يتحدّثُ كلُّ من سفرِ التثنية 29: 4، وسفرِ إشعياء 6: 9، 10، وإنجيلِ يوحنا 12: 37-41، ورسالةِ رومية 11: 8 عن رفضِ اللهِ تجديدَ قلوبِ الأشرارِ وأذهانهم كي يمنّعهم من التوبةِ ونوالِ الخلاص. استمعُ إلى رسالةِ رومية 1: 24-28 حيثُ ناقشَ بولسُ موضوعَ دينونةِ الأشرارِ:

لِذَلِكَ أَسَلَمَهُمُ اللَّهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النِّجَاسَةِ ... [و] إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ ... وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللَّهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ، أَسَلَمَهُمُ اللَّهُ إِلَى ذَهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لَا يَلِيْقُ (رومية 1: 24-28).

ينبغي أن تكونَ العنايةُ الإلهيةُ أفقًا مروّعًا للخُطاة. فهي تُعني أن اللهَ لا ينتظرُ دائمًا مجيءَ يومِ الدينونةِ كي يعاقبَ الشر. كما أنها تُكشِفُ عن نَوْعِ الدينونةِ العتيدةِ أن تأتي. لكنْ على النحوِ ذاته، تُعني أيضًا أن اللهَ لا ينتظرُ دائمًا مجيءَ اليومِ الأخيرِ كي يباركَ شعبه. فإلى جانبِ تسديدِ اللهِ لحاجتنا وحمايته لحياتنا، هو يعملُ أيضًا في قلوبنا وأذهاننا كي يجعلنا نُطيعه. كما كتبَ بولسُ في رسالةِ فيلبي 2: 13:

لَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ (فيلبي 2: 13).

يمكنُ رؤيةُ هذا المفهومِ عن تعاملِ الروحِ القدسِ في عنايتهِ معَ كلِّ من المؤمنين وغيرِ المؤمنين في العديدِ من نصوصِ العهدِ القديم. ففي سفرِ إشعياء 29: 16، 45: 9، وفي سفرِ إرميا 18: 1-19، يُصوّرُ اللهَ بالفخاري والبشرَ بالجِبلة. وفي كلِّ حالةٍ من هذه الحالات، يُوضِّحُ الكتابُ المقدسُ أن الفخاري له الحقُّ في صنعِ ما شاءَ في جِبَلته. باستخدامِ بولسِ لهذه الصورةِ البلاغيةِ، أوجزَ هذا الجانبُ من العنايةِ الإلهيةِ في رسالةِ رومية 9: 18-21، حينَ كتبَ:

فَإِذَا هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ. فَسَتَقُولُ لِي: «لِمَ أَدَا يَلُومُ بَعْدُ؟ لِأَنَّ مَنْ يَقَاوِمُ مَشِيئَتَهُ؟» بَلْ مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الَّذِي تُجَاوِبُ اللَّهَ؟ أَلَعَلَّ الْجِبَلَةَ تَقُولُ

لِجَابِلِهَا: «لِمَاذَا صَنَعْتَنِي هَكَذَا؟» أَمْ لَيْسَ لِلْخُرَافِ سُلْطَانٌ عَلَى الطِّينِ، أَنْ يَصْنَعَ مِنْ كُنْثَلَةٍ وَاحِدَةٍ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ وَآخَرَ لِلْهَوَانِ؟ (رومية 9: 18-21).

هنا قال بولس إن الحق الذي يملكه الخُرَافُ على الجُبلة امتدَّ حتى إلى تقسية قلوب البشر، جاعلاً إياهم يقاومونه ويسفطون تحت دينونته.

كما نكرنا قبلاً، نفهم التقاليد اللاهوتية المختلفة عمل الروح القدس بطرق مختلفة. لنتناول معاً عمل عناية الروح القدس في الإتيان بالبشر إلى الإيمان بالمسيح. يمكننا إيضاح عمل تجديد الروح القدس من حيث طريقين أو مسارين. يُمثِّلُ المسارُ الأولُ قبولَ المسيح مخلصاً. ويُمثِّلُ المسارُ الآخرُ رفضه. على جميع المؤمنين الإنجيليين أن يتفقوا على أن الروح القدس في عنايته يجعل البشر يتعرَّضون للإنجيل، ويواجهون هذا القرار. لكن توجد ثلاثة آراء رئيسية على الأقل تتعلق بتدخل الروح القدس في هذه العملية.

أولاً، تعتقد بعض التقاليد اللاهوتية أن البشر لديهم القدرة الفطرية الطبيعية على اختيار إما مسار الخلاص وإما مسار الهلاك. وبحسب هذا الرأي، ينصبُّ عمل عناية الروح على الإتيان بنا إلى لقاء مع الإنجيل.

يتفق الرأي الثاني مع كون الروح القدس يُسيِّرُ ويُنَسِّقُ حياتنا بحيث نلتقي مع الإنجيل. لكنّه يؤمن أيضاً بأن البشر الساقطين يفتقرون إلى القدرة الفطرية الطبيعية على الاستجابة إيجابياً مع الإنجيل. ففي حالتنا الساقطة، سنختار دائماً طريق الهلاك. وبالتالي، وبحسب هذا الرأي، يعطي الروح القدس نعمة استباقية، أو نعمة تأتي قبل إيمان الخلاص، والتي تُمكننا من اختيار مسار الخلاص. بمجرد نوالنا هذه النعمة، يفتح أمامنا كلاً المسارين، فنتمكن من اختيار إما أن نقبل المسيح وإما أن نرفضه.

يتفق الرأي الثالث الرئيسي مع كون الروح القدس يضعنا في لقاء مع الإنجيل، ومع كوننا نفتقر إلى القدرة الفطرية الطبيعية على اختيار الحياة. لكن، بحسب هذا الرأي، يُعطي الروح القدس نعمة لا تُقاوم لمن يختار أن يخلصهم. هذه النعمة لا تكفي بتمكيننا من اختيار مسار الخلاص، بل فعلياً تكفل لنا هذا الاختيار.

من الواضح أنه توجد اختلافات جسيمة بين هذه الآراء. ولكن مع ذلك، تؤكد الآراء الثلاثة جميعها على تأثير الروح القدس وتحكمه في حياة البشر، وبدرجة أو بأخرى، تحكمه حتى في الخيارات التي نتخذها.

يركز يسوع على هذه الخدمة الهامة التي يؤديها الروح القدس في حياة من هم من العالم، البشر الذين هم أعداء الله. يعمل الروح لتبكيته من هم في عداوة مع الله - أي غير المؤمنين - للتأكيد على إثمهم، وعلى موطن الخطأ من جهة الخطيئة، والبر الذاتي، والدينونة العالمية. أي أن الروح يساعد غير المؤمنين على إدراك أنهم لم يؤمنوا قط بيسوع المسيح، رجائهم الوحيد للخلاص. كما يؤكد الروح القدس أيضاً على حقيقة أن الكثير من غير المؤمنين يتكلمون على برهم الذاتي كي ينالوا استحسان الله أو يربحوا محبته للخلاص، وهذا أمر مستحيل. وبالتالي، يُجرى الروح إزعاجاً إلهياً لغير المؤمنين، مشيراً إلى أنهم غارقون في خطاياهم، وأن برهم ذاتي، وأنهم متورطون في نوع من الإدانة الدينونة، وأن كل هذا خطأ. ثم يدفعهم ويحثهم على قبول يسوع المسيح. وبالتالي، يعمل الروح بقوة في حياة غير المؤمنين لتبكيته، كي يولدوا ثانيةً.

— د. جريج أليسون

بعد أن تناولنا عمل الروح القدس في العالم من حيث الخلق والعناية، نحن على استعداد الآن للاتجاه إلى عمل الإعلان.

الإعلان

هناك وسائل كثيرة لتعريف الإعلان. لكن بوجه عام، يمكن أن نقول إنه:

عمل الله لتعريف البشر بنفسه.

إن الإعلان هو حقاً عمل فرعي من أعمال العناية لأنه جزء من الكيفية التي بها يتحكم الروح القدس في الخليقة بوجه عام، وفي البشر بوجه خاص. ويتخذ الإعلان صوراً عديدة. يمكننا أن نتعلم عن الله من خلال ملاحظة الخليقة. كما يمكن أن نرى صفاته منعكسة فينا وفي الآخرين من البشر. كما أنه استخدم بعض الملائكة المرسلين، أو كارزين ومعلمين من البشر للإعلان عن نفسه.

وأعطى رؤى وأحلامًا وتكلمَ بشكلٍ مباشر. ثم أعطانا كلمته في الكتاب المقدس. بل ويستطيع أن يتكلمَ إلى قلوبنا مباشرةً من خلال إرشادٍ واستنارةٍ داخليةٍ تساعدنا على تفسير الكتاب المقدس وتطبيقه.

سنحدّث عن عمل إعلان الروح القدس في جزأين. أولاً، سنستطلع بعض النماذج اللاهوتية لتصنيف الإعلان. وثانياً، سنتناول ما يقوله الكتاب المقدس عن دور الروح القدس باعتباره مصدر الإعلان. سنتناول أولاً بعض النماذج اللاهوتية لتصنيف الإعلان.

النماذج

أنشأ علماء اللاهوت الكثير من الأنظمة لتصنيف الإعلان الذي يعطيه الروح القدس. لكن لأغراض هذا الدرس، سنحصر دراستنا في خمسة من أكثر النماذج شيوعاً.

الإعلان الطبيعي والإعلان الفائق للطبيعة

إن إحدى التفرقات القديمة التي قام بها علماء اللاهوت كانت بين الإعلان الطبيعي والإعلان الفائق للطبيعة. في هذا الدرس، سنستخدم مصطلح "الإعلان الطبيعي" للإشارة إلى معرفة الله بواسطة العمليات العادية للعالم الطبيعي وبواسطة أعمال العناية. يشمل هذا كل مخلوق، وكل شيء، وكل مادة، وكل أساس في الخليقة. على سبيل المثال، يتحدث المزمور 19: 1 عن الإعلان الطبيعي كالتالي:

السَّمَاوَاتُ تَحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْفَلَكَ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ (المزمور 19: 1).

في المقابل، يعدّ الإعلان الفائق للطبيعة هو معرفة الله التي تأتي مباشرةً من الله، أو من رسله. يشمل هذا القوّات، والنبوة، ووحى الكتاب المقدس، بالإضافة إلى كل تدخل إلهي آخر، وكل عمل عناية فائق للطبيعة.

أصابَت التفرقة بين الإعلان الطبيعي والإعلان الفائق للطبيعة في إقرارها بأن الله يستخدم الكثير من وسائل الإعلان المختلفة. تشمل هذه الوسائل الكون الطبيعي، وعالم الملائكة والشياطين الخارق للطبيعة، والتواصل المباشر مع البشر. كما تُقرُّ أيضًا بأنه بما أن الله خلق كلَّ ما هو موجود، فإن كلَّ شيءٍ وكلَّ شخصٍ يعلن شيئًا ما عنه. ولكن تكمنُ نقطة الضعف هنا في تجاهل أن كلَّ إعلانٍ هو في النهاية فائقٌ للطبيعة. ففي الأساس، خلق العالم الطبيعي من قبل الله، وهو يعتمدُ على عناية الله في دعمه وإدراجه.

ولأن الروح القدس هو المصدر الرئيسي لكلِّ إعلان، فمن المفيد أن نفكر في الأمر من منطلق الربط بين الإعلان الطبيعي والإعلان الفائق للطبيعة. على سبيل المثال، من شأن كلمة مباشرة ومسموعة من الله أن تكون فائقةً للطبيعة بدرجة كبيرة. ومن شأن إنسانٍ نبيٍّ موحى له أن يكون فائقًا للطبيعة بدرجة أقل إلى حدٍّ ما. أما ملاحظة يد الله المبدعة في الكون الطبيعي، فمن شأنها أن تكون فائقةً للطبيعة بالدرجة الأقل.

الإعلان الفدائي والإعلان غير الفدائي

المجموعة الثانية من التصنيفات التي استُخدمت أحيانًا لوصف الإعلان هي الإعلان الفدائي والإعلان غير الفدائي. إنَّ الإعلان الفدائي هو معرفة الله بغرض تحقيق الخلاص بواسطة المسيح. على سبيل المثال، تُعتبر معرفة أن الله رحيمٌ وغفورٌ بوجهٍ عامٍ إعلانًا فدائيًا لأنه يُفترضُ سبقُ حاجة البشر إلى الفداء. فإن لم نكن قد أخطأنا البتة، لما احتجنا إلى الرحمة أو الغفران. لكنَّ الإعلان غير الفدائي هو معرفة الله التي لا تضع في حسابها الخطية أو الفداء. على سبيل المثال، معرفة أن الله هو الخالقُ كليُّ القدرة يمكن أن تُعتبر إعلانًا غير فدائي لأنها لا تُعرفنا بإثمينًا أو بحاجتنا إلى الفداء. فإن قدرة الله هي دائمًا نفسها، بغض النظر عن إثمينًا.

من الهام أن نقرَّ بأن أنواع المعرفة الكثيرة هي غير فدائية من جهة، لكنَّها فدائية من جهةٍ أخرى. على سبيل المثال، إدراكُ مجدِ الله - الذي هو بالطبيعة غير فدائي - يمكن أن يكون هو الاختبار الذي يجعلُ خاطئًا يتَّضع، ويدفعه إلى التوبة. علاوةً على ذلك، إن المعرفة الفدائية هي فدائية فقط لمن يتوب. أما لمن لا يتوب، فهي وسيلة إضافية لإدانته. نرى هذا في نصوصٍ مثل إنجيل متى 11: 21، 22، وسفر إشعياء 6: 9، 10.

الإعلان العام والإعلان الخاص

المجموعة الثالثة من التصنيفات التي يستخدمها العديد من علماء اللاهوت هي الإعلان العام والإعلان الخاص. قام علماء لاهوت مختلفين بتعريف الإعلان العام والإعلان الخاص بطرق متنوعة. يسلط بعض علماء اللاهوت تفرقتهم على وسيلة منح الإعلان.

بحسب هذا الرأي، يكافئ الإعلان العام إلى حد ما الإعلان الطبيعي لأنه يأتي من خلال وسائل طبيعية. ويكافئ الإعلان الخاص إلى حد ما الإعلان الفائق للطبيعة لأنه يأتي من خلال وسائل فائقة للطبيعة أو خارقة لها.

في تقاليد أخرى، انصب التركيز على مُستقبلي الإعلان. يخاطب الإعلان العام البشر بوجه عام، بحيث يصل للجميع، بينما الإعلان الخاص متاح فقط لقلّة مختارة.

أصاب هذا النموذج بإقراره بأن ليس الجميع يستقبلون الإعلان نفسه من الله وذلك لوجود اختلافات واضحة في حياتنا، وتاريخنا، بل وفي قدرتنا على استقبال الإعلان. على سبيل المثال، لا يستطيع المكفوفون استقبال الجوانب المنظورة من الإعلان العام بصورة مباشرة. وهناك قدر من الإعلان الخاص، مثل الكتاب المقدس، يُقصد به أن يُقدّم للجميع بقدر الإمكان.

تُميّز منهجية أخرى في تناول هذا التصنيف بين محتوى الإعلان العام ومحتوى الإعلان الخاص. تُشبه هذه المنهجية الإعلان غير الفدائي والإعلان الفدائي. بحسب هذا الرأي، إن الإعلان العام موجّه إلى جميع البشر، بغض النظر عن موضوعات كالخطية والخلاص. وبالتالي، يُقدّم الإعلان الخاص لمجموعة مختارة من الخطاة ينتوي الله أن يخلصهم.

تكمُن فائدة هذا في الإقرار باختيار الله للبعض للخلاص، كما علّم بولس في رسالة رومية 8: 29، 30، ورسالة أفسس 1: 5، 11. كما يركز هذا الرأي أيضًا على عزم الله بأن يأخذ خطوات خاصة للإتيان بهؤلاء البشر إلى الإيمان والنسوج في المسيح. لكنّ به بعض نقاط الضعف. على سبيل المثال، ليس الإعلان الذي يدين الخطاة إعلانًا عامًا، لأنه يأخذ الخطية في حسابه. وهو ليس خاصًا لأنه لا يهدف بالضرورة إلى أن يخلص أحدًا.

الإعلان بالعمل والإعلان بالكلمة

النموذج الرابع الذي يستخدمه علماء اللاهوت لتصنيف إعلان الروح القدس يتكون من الإعلان بالعمل والإعلان بالكلمة. إن الإعلان بالعمل هو إعلان الله عن ذاته من خلال أعماله وأفعاله. والإعلان بالكلمة هو كشفه عن ذاته بواسطة كلماته الموحى بها، سواء كانت منطوقة أو مكتوبة.

هذه التفرقة عادة ما تُفيد لأنها تسلط الضوء على الأساليب المختلفة التي يستخدمها الله في التواصل. وهي محققة في إقرارها بأننا نستطيع معرفة الكثير عن الله بالنظر إلى أعماله. لكن، لأن أعمال الله يمكن أحياناً أن تكون غامضة، فهي تركز أيضاً على وضوح كلماته أكثر من أعماله. بالإضافة إلى ذلك، تساعدنا هذه التفرقة على رؤية الترابط بين كلمات الله وأفعاله - كيف تُنمّ أفعاله أحياناً كلماته، وكيف تُفسر كلماته أحياناً أفعاله، وهكذا. على سبيل المثال، في إنجيل مرقس 3: 22، اتهم يسوع بأنه يشفي من عليهم أرواح نجسة بقوة الشيطان. ومن الواضح أن الحال لم يكن هكذا. بل كان يعمل هذا بقوة الله. وقد أعلن الفعل سلطان الروح القدس على إبليس. لكن لم يفهم مستمعوه ذلك. وبالتالي، يفسر الإعلان بالكلمة الذي قدمه يسوع في إنجيل مرقس 3: 23-29 دلالة عمل إخراج الأرواح الشريرة.

بالطبع، أحد نقائص هذه المنهجية في تناول الإعلان هو تركيزها بشكل أساسي على أعمال الله المثيرة والخاصية، وعلى الكلمات التي تفسرها. ومن هذه الناحية، تميل هذه المنهجية إلى التقليل من شأن الإعلان الملحوظ بدرجة أقل، كذلك الإعلان الموجود في العمليات الروتينية في العالم الطبيعي.

الإعلان غير المباشر والإعلان المباشر

أخيراً، النموذج الخامس المستخدم لتصنيف الإعلان هو الإعلان غير المباشر والإعلان المباشر. يأتي الإعلان غير المباشر من خلال وسيط أو وسيلة ما، مثل الخليقة، أو رسول نبوي، أو الكتاب المقدس. ويأتي الإعلان المباشر من الله مباشرة، مثل المعرفة الفطرية لله ذاته التي وضعها الله داخل جميع البشر. تشتمل أنواع أخرى من الإعلان المباشر على "الاستشارة" و"الإرشاد الداخلي" - وهي هبات إلهية تخص المعرفة أو الفهم، ينسبها الكتاب المقدس بصورة متكررة إلى

عمل الروح القدس. نرى هذا في مواضع مثل رسالة 1 كورنثوس 2: 9-16؛ ورسالة أفسس 1: 17؛ ورسالة كولوسي 1: 9؛ ورسالة 1 يوحنا 2: 27.

يُذَكِّرنا هذا النموذجُ بأن نكونَ حساسين تجاه أعمال الروح القدس في حياتنا. لكن يمكن أيضًا إساءة استخدامه بسهولة، بما أن كثيرين لا يستطيعون التمييز بين الإرشاد الداخلي والاستتارة من جانب، والأفكار والمشاعر التي تراوهم بشكلٍ طبيعيٍّ من جانبٍ آخر. ويثيرُ هذا بعضَ الأسئلة الهامة: كيف يمكننا تحديد مصدر أفكارنا، وعواطفنا، ورؤانا، والأصوات التي نسمعها، وأحلامنا، بل وحتى تفسيراتنا للكتاب المقدس؟ كيف نعلم إن كانت تأتي من الروح القدس، أو ربما من ملاك، وأنها بالتالي موثوقٌ بها؟ كيف يمكن أن نتأكد من أننا لسنا نُضِلُّ أنفسنا أو أننا مخدوعون من قبل روحٍ شريرٍ؟

تحذرننا نصوصٌ مثل سفر أعمال الرسل 17: 11 ورسالة 1 يوحنا 4: 1 بأننا لا ينبغي أن نظنَّ بسذاجةٍ بأن كلَّ إعلان، واستتارة، وتفسير، وتقليدٍ هو من الروح القدس. بل في حقيقة الأمر، تشجعنا هذه النصوص على أن نتشكك، وأن نمتحن كلَّ روحٍ وادعاءٍ لنرى إن كان ذلك بحسب الله والكتاب المقدس أم لا.

في ضوء هذه النماذج عن الإعلان، لننتحدث الآن عن الروح القدس باعتباره مصدر الإعلان.

المصدر

تتشارك جميع النماذج اللاهوتية للإعلان في شيءٍ واحدٍ وهو وصفُ الله بأنه هو المصدر النهائي والمطلق للإعلان. ولأن كلَّ إعلانٍ هو من الله، فإن كلَّ إعلانٍ هو صحيحٌ ومعصومٌ من الخطأ. ولأنه صحيح، فهو أيضًا له سلطانٌ علينا. فهو يلزمنا بالإيمان بما يُعلمه عن الله، وبالاستجابة في حبٍ واطاعةٍ لله الذي يعلنه. ولكن كيف لنا أن نعلم أن الروح القدس، تحديدًا، هو المشترك بصورةٍ مباشرةٍ في إعلان الله لنا؟

يقف الروح القدس عند طرفي عمل التواصل في الكتاب المقدس، مُرسلاً الرسالة من الله، وأيضًا ضامنًا قبول شعب الله لها، كيما تُستخدم لأجل غرضها القصود. من حيث الإرسال، يخبرنا الأصحاح الثاني من رسالة بطرس الثانية أن أناس الله

القديسين كانوا مسوقين من الروح القدس، أي أن روح الله استخدم خبراتهم الحياتية، وتعليمهم، وإمكانياتهم في معرفة القوالب الأدبية وتداخلهم في الظروف التاريخية لينقلوا لنا تفسير الله لتلك الأحداث: أي كلمة الله. وبالتالي نُطلق على هذا "عقيدة الوحي"، أي أن الروح القدس أوحى لأناس الله القديسين هؤلاء. لكن حين كَتَب بولس إلى أهل كورنثوس في الأصحاح الثاني من رسالة كورنثوس الأولى، تحدث أيضًا عن تواجد الروح القدس عند طرف الاستقبال، مانحًا مواهب لجسد المسيح، مواهب تعليم، ومواهب تمييز ... بحيث يمكن تفسير الرسالة - فالحقائق الروحية تُفسر بطرق روحية - كما تُقبل الرسالة، ثم تتمم غرض الإعداد في إرسالية شعب الله. نطلق على هذا "عقيدة الاستنارة"، أن الروح القدس ينير شعب الله ويعطيهم مواهب كما يقبلون رسالة الروح، الكلمة، ثم يستخدمونها كيفما أراد الله.

— د. جريج بيرى

كثيرًا ما يقول الكتاب المقدس إن الإعلان ينتقل من خلال أعمال الله في الخلق والعناية. وكما رأينا، لعب الروح القدس، ويظلّ يلعب، دورًا رئيسيًا في هذه الأعمال الإلهية. إلى جانب هذا، يصف كل من إنجيل يوحنا 14: 26؛ ورسالة 1 كورنثوس 2: 4؛ ورسالة أفسس 1: 17، 3: 5، الروح القدس بأنه هو من يعلن الله لنا، بما في ذلك "أعماق الله"، كما نتعلم من رسالة 1 كورنثوس 2: 10. ولهذا دعاه يوحنا "روح الحق" في إنجيل يوحنا 14: 17، 15: 26، 16: 13. وفي رسالة 1 يوحنا 5: 6، قال يوحنا:

وَالرُّوحُ هُوَ الَّذِي يَشْهَدُ، لِأَنَّ الرُّوحَ هُوَ الْحَقُّ (1 يوحنا 5: 6).

يشير الكتاب المقدس إلى أن الروح القدس يمُدنا بكلّ فئة من فئات الإعلان التي تناولناها في هذا الدرس. لكن سيُفيدنا أيضًا أن نتناول بعض أنواع الإعلان التي ينسبها الكتاب المقدس بصراحة إلى الروح. ولضيق الوقت، لن نذكر سوى ثلاثة أنواع. أولاً، كما رأينا في درس سابق، الروح القدس مسؤول عن وحي النبوة والكتاب المقدس.

وحي النبوة والكتاب المقدس

يَرُدُّ ذَكَرُ وحي الروح بالنبوة والكتاب المقدس في مواضعٍ مثل سفر أعمال الرسل 1: 16، 4: 25، 28: 25؛ ورسالة أفسس 3: 4، 5؛ ورسالة العبرانيين 9: 8. كما يظهر أيضًا في الموهبة الروحية للنبوة المذكورة في رسالة 1 كورنثوس 14: 1، وفي خدمة الروح بواسطة الرسل الموصوفة في إنجيل يوحنا 14: 26. وكأحد الأمثلة على هذا، تذكر ما كتبه بطرس في رسالة 2 بطرس 1: 20-21:

أَنَّ كُلَّ نُبُوءَةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍ. لِأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوءَةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أَنَا اللهُ الْقَدِيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ (2 بطرس 1: 20-21).

نقرأ في الكتاب المقدس أن الكتاب البشر تفاعلوا مع الروح القدس لكتابة الأسفار المقدسة كما نعرفها اليوم. يُشار إلى هذا في مواضعٍ عديدة في العهد الجديد، لكن ربما تردُّ أوضح إشارة في الأصحاح الأول من رسالة بطرس الثانية حيث يتحدث بطرس عن نورٍ يسطع في موضعٍ مظلم - متحدثًا عن إعلان الله - ثم يتابع ليقول في العدد الحادي والعشرين: "لأنه لم تأت نبوءة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس". ونرى هنا شيئًا من التفاعل بين البشر - أي الإنسان المسوق - والروح القدس، الذي يتولى القيادة. ولدنا في الكتاب المقدس كلماتٍ بشريةً كاملةً وإلهيةً كاملةً، بحيث صارت الكلمات التي كتبها إنسانٌ، من جرائ تدخل الله، ممتلئة بالروح، وموحى بها، ومعصومة، لمنفعتنا.

— د. سايمون فيبيرت

ثانيًا، إن الروح القدس متصلٌ بصورةٍ مباشرةٍ بعمل الاستتارة والإرشاد الداخلي.

الاستتارة والإرشاد الداخلي

تحدثنا عن الاستتارة والإرشاد الداخليّ قبلاً في حديثنا عن الإعلان المباشر. وفي حين ليست هاتان الموهبتان دائماً مميزتين الواحدة عن الأخرى في الكتاب المقدس، لكن يمكننا مع هذا التمييز بينهما. فإن "الاستتارة" هي موهبة إلهية للمعرفة أو الفهم، وهي في الأساس إدراكية. و"الإرشاد الداخليّ" هو موهبة إلهية للمعرفة أو الفهم، وهي في الأساس عاطفية أو حدسية. في رسالة 1 كورنثوس 2: 9-16، وصف بولس الاستتارة والإرشاد الداخليّ للروح القدس باعتبارهما إعلاناً عن فكر الله وأموره لشعبه. قال بولس إنه بما أن الروح هو الله نفسه، فهو يعرف فكر الله وأموره، ويعلمها للمؤمنين كيما نتمكن من إدراك الأشياء الموهوبة لنا من الله.

بالتأكيد، يمكننا أن نتعلم أيضاً عن الله من خلال وسائل أخرى متنوعة، كالخلقية والكتاب المقدس. لكن في رسالة 1 كورنثوس 2، أشار بولس إلى أن الروح القدس يمنح المؤمنين الحكمة والبصيرة بصورة مباشرة، لنتمكّن من تفسير أيّ إعلان آخر يقدمه الروح بدقة. لا يعني هذا أننا نملك السلطان نفسه الذي كان لدى الرسل كي نتكلم بكلمات الله أو نفسرها. بل على النقيض، تُبيّن نصوص مثل إنجيل يوحنا 14: 26، ورسالة أفسس 3: 3-5، أن الرسل والأنبياء كان لديهم سلطان وبصيرة فريدة. ومع ذلك، من خلال الإرشاد الداخليّ والاستتارة، يمنحنا الروح معرفة إدراكية وعاطفية عن إعلانها. نرى شيئاً مشابهاً لهذا في رسالة أفسس 1: 17-18، حيث كتب بولس:

**كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلَهُ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالْإِعْلَانِ فِي مَعْرِفَتِهِ،
مُسْتَنِيرَةً عَيْونَ أَذْهَانِكُمْ. (أفسس 1: 17-18).**

في هذا النصّ، أشار بولس إلى أن الروح القدس يُعطي الاستتارة كي يُساعدنا أن نعرف الله بصورة أفضل، ويمنحنا الإرشاد الداخليّ كي يُنير قلوبنا. نجد هذه الفكرة أيضاً في رسالة كولوسي 1: 9؛ ورسالة 1 يوحنا 2: 27.

ثالثاً، يوجد نوع آخر من الإعلان شديد الشبوح ومرتببط بالروح القدس، وهو فئة القوّات، والآيات، والعجائب.

القوّات، والآيات، والعجائب

فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، كَانَتْ الْقُوَّاتُ وَالْآيَاتُ وَالْعَجَائِبُ أَعْمَالًا خَارِقَةً لِلطَّبِيعَةِ مِنْ أَعْمَالِ الْعِنَايَةِ الَّتِي يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْقُدُسُ. يَرْبِطُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ هَذِهِ الْأَعْمَالَ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ بِشَخْصِ الرُّوحِ فِي الْعَدِيدِ مِنَ النُّصُوصِ، بِمَا فِي ذَلِكَ رِسَالَةٌ رُومِيَّةٌ 15: 19؛ وَرِسَالَةٌ 1 كورنثوس 12: 7-11؛ وَرِسَالَةٌ غَلَطِيَّةٌ 3: 5. وَيُسَاعِدُنَا هَذَا عَلَى إِذْرَاكِ أَنَّ الرُّوحَ هُوَ الْقُوَّةُ الْكَامِنَةُ وَرَاءَ جَمِيعِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْخَارِقَةِ فِي كُلِّ مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَالْعَهْدِ الْجَدِيدِ، حَتَّى وَإِنْ لَمْ يُذَكَّرْ بِالْإِسْمِ دَائِمًا. عِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، يُشِيرُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ إِلَى أَنَّ الْعَرَضَ مِنْ هَذِهِ الْقُوَّاتِ، وَالْآيَاتِ، وَالْعَجَائِبِ كَانَ التَّأَكُّيدُ عَلَى كَلِمَةِ اللَّهِ لِلْبَشَرِ - وَخَاصَّةً غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ. كَمَا نَقَرَأُ فِي رِسَالَةِ الْعِبْرَانِيِّينَ 2: 4:

شَاهِدًا اللَّهُ مَعَهُمْ [لِلْخَلَاصِ] بِآيَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَقُوَّاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمَوَاهِبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ،
حَسَبَ إِرَادَتِهِ (الْعِبْرَانِيِّينَ 2: 4).

كما نتعلم هنا، أعطى الروح القدس قوَّاتٍ، وآياتٍ، وعجائبٍ كإعلانٍ يشهدُ عن رسالة الإنجيل.

يُؤَكِّدُ كُلُّ مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَالْعَهْدِ الْجَدِيدِ عَلَى هَذَا الدَّورِ الْإِعْلَانِيِّ لِلْقُوَّاتِ، وَالْآيَاتِ، وَالْعَجَائِبِ. عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، فِي سَفَرِ الْخُرُوجِ 4، أُجْرِيَ الرُّوحُ آيَاتٍ بِوَسِطَةِ مُوسَى، مِنْهَا تَحْوِيلُ عَصَاهُ إِلَى حَيَّةٍ، وَالْإِصَابَةُ بِالْبَرَصِ وَعِلَاجُهُ. وَكَانَ هَذَا لِإِقْنَاعِ إِسْرَائِيلَ بِأَنَّ مُوسَى هُوَ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُقَوِّدَهُمْ. وَكَانَ الْعَرَضُ مِنَ الصَّرْبَاتِ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ هُوَ الْإِثْبَاتُ لِفِرْعَوْنَ وَبِلَادِهِ أَنَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ هُوَ الْإِلَهُ الْحَقِيقِيُّ. وَلِهَذَا أُطْلِقَ عَلَيْهَا آيَاتٌ وَعَجَائِبُ فِي مَوَاضِعَ مِثْلِ سَفَرِ الْخُرُوجِ 7: 3، 10: 1، 2. كَمَا أُطْلِقَ أَيْضًا اسْمُ آيَاتِ عَلَى قُوَّاتِ الرُّوحِ فِي أَثْنَاءِ تَيَهَانِ إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِّيَّةِ فِي سَفَرِ الْعَدَدِ 14: 22، لِأَنَّهَا أَثْبَتَتْ أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْبَغُوا مُوسَى إِلَى أَرْضِ الْمَوْعِدِ. كَمَا يَسْتَشْهَدُ سَفَرُ التَّنْبِيَةِ 4: 34، وَمَوَاضِعُ أُخْرَى فِي كُلِّ السَّفَرِ، بِالْآيَاتِ وَالْعَجَائِبِ الَّتِي وَقَعَتْ أَثْنَاءَ خُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كِبْرَهَانَ عَلَى إِحْسَانِ اللَّهِ وَحَفْظِهِ لِلْعَهْدِ. وَفِي سَفَرِ 2 صموئيل 7: 23، قِيلَ أَيْضًا إِنَّ دُخُولَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَرْضِ الْمَوْعِدِ تَصَمَّنُ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ لِإِثْبَاتِ أَنَّ اللَّهَ كَانَ رَاضِيًا عَلَى شَعْبِهِ، وَأَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْأَلِهَةِ الْكُفْرَانِيَّةِ الزَّائِفَةِ.

كَمَا أُعْطِيَ الرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا أَنْبِيَاءَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَآخِرِينَ الْقُدْرَةَ عَلَى إِجْرَاءِ آيَاتٍ وَعَجَائِبٍ مُعْجَزِيَّةٍ، بَرَهَنْتَ عَلَى صِدْقِ رِسَائِلِهِمْ. عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، يُشِيرُ سَفَرُ دَانِيَالِ 4: 2، 3 إِلَى أَنَّ أَحْلَامَ الْمَلِكِ نَبُوخَدَنْصَرِ كَانَتْ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ، وَهَكَذَا أَيْضًا فُقْدَانُهُ لِعَقْلِهِ ثُمَّ تَعَافِيهِ بَعْدَ هَذَا. فَقَدْ أَكَّدَتْ

أحلامه على نبوة الله عن مستقبل نبوخذنصر. وأثبت جُونه أن الله كان هو مصدر نجاح نبوخذنصر. كما دعي أيضًا إنقاذ دانيال من جب الأسود آية وأعجوبة في سفر دانيال 6: 27، لأنه أيد خدمته النبوية.

وفي العهد الجديد، أستخدم الروح القدس "الآيات والعجائب" بطريقة مماثلة. على سبيل المثال، نطلق الأناجيل - ولا سيما إنجيل يوحنا - على قوت يسوع ومعجزاته "آيات" لأنها أثبتت صحة رسالته. نرى هذا في إنجيل متى 12: 39؛ وإنجيل لوقا 11: 29؛ وإنجيل يوحنا 2: 11، 23؛ 3: 2؛ 4: 54، والكثير من المواضع الأخرى في كل إنجيل يوحنا.

يشير إنجيل يوحنا كثيرًا إلى قوت يسوع بكونها "آيات" ليبين لنا أنها ليست مجرد إندفاعات من القوة، يقصد منها فقط أن تصيب بالدهشة والرهبة. يُستخدم هذا اللفظ في إنجيل يوحنا، وفي الأناجيل الأخرى، لوصف آيات يسوع وعجائبه، وأعمال قوته. لكن يسلم يوحنا الصوة على الآيات لأنه يعلم أن هذه القوت تشير إلى شيء أبعد. فإن تحويل الماء إلى خمر يشير إلى ما هو أبعد من مجرد تقديم مساعده في وليمة عرس لتلافي حرج من كان ينبغي أن يخزئوا المزيد من الخمر. بل كان هذا فعلًا إشارة إلى بدء الولاية المسيانية المتنبأ عنها في إشعياء 25. كما يبدو واضحًا بشدة أن إطعام يسوع للخمسة آلاف، حين بارك الخبز، قد قاده مباشرة إلى حديث مطول بين من خلاله أن الخبز الذي نأكله ونهضمه في أجسادنا يغذيها فقط لفترة وجيزة، لكن الأب يعطي خبزًا حقيقيًا، أبدًا، واهبًا حياة من السماء، وأن يسوع نفسه هو خبز الحياة هذا. وأيضًا في إقامة لعازر. أقيم لعازر من الموت، عائدًا بالجسد إلى الحياة في هذا العالم، لكن يسوع يقول لمرثا إن ما كانت هذه الآية تشير إليه بالفعل هو أن يسوع نفسه هو القيامة والحياة. وقبل هذا تكلم يسوع في الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا عن اليوم الحاضر بكونه هو اليوم الذي فيه يسمع الأموات صوت ابن الله، فيخرجوا إلى الحياة. هذه هي قوة الروح الواهبة للحياة بإقتياد البشر إلى الإيمان بالله والحياة فيه بواسطة الإنجيل. وسيأتي يوم حين يخرج جميع من في القبور، الأموات بالجسد، سواء

لِيُؤَاجِهُوا الدَّيْنُونَةَ إِنَّ لَمْ يَكُونُوا قَدْ آمَنُوا بِالْإِبْنِ، أَوْ لِلتَّمَتُّعِ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، لِأَنَّ
الْإِبْنَ يُعْطِي حَيَاةً.

— د. دينيس جونسون

كَانَتْ مُعْجَزَاتُ يَسُوعَ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ شَهِدَتْ عَن حَقِيقَةِ شَخْصِهِ وَعَن صِدْقِ رِسَالَتِهِ. بِالتَّأَكُّيدِ،
إِذْ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ اللهُ نَفْسُهُ، كَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَصْنَعَ مَا يُرِيدُهُ مِنْ قُوَّاتٍ. لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ. بَلْ اتَّكَلَّ
يَسُوعُ نَفْسَهُ عَلَى الرُّوحِ القُدْسِ فِي صُنْعِهِ قُوَّاتِهِ. وَقَدْ قَامَ بِذَلِكَ لِكَيْ يَتَأَكَّدَ إِنْجِيلُهُ وَيَثْبُتَ بِشَهَادَةِ الرُّوحِ
القُدْسِ. يَبْضُحُ هَذَا فِي نُصُوصٍ مِثْلِ إِنْجِيلِ مَتَّى 12: 18، 28؛ وَإِنْجِيلِ لُوقَا 4: 14، 18. اسْتَمِعْ
إِلَى كَلِمَاتِ بَطْرُسَ فِي سَفَرِ أَعْمَالِ الرِّسْلِ 2: 22:

يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرَّهَنْ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبٍ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ
بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ (أَعْمَالِ الرِّسْلِ 2: 22).

كان عملُ يسوعَ شهادةً صحيحةً وشرعيةً لأنه لم يُجرها بقوته الشخصية. بل قد أجزاها بقوة
الروح القدس.

يذكرُ سفرُ أعمالِ الرِّسْلِ أيضًا العديدَ من الآياتِ والعجائبِ الأخرى التي استخدمها الروح
القُدْسُ ليشهدَ للإنجيل. على سبيلِ المثالِ، يقولُ سفرُ أعمالِ الرِّسْلِ 2: 43، 5: 12، إن الرِّسَلَ
أجروا الكثيرَ من العجائبِ والآياتِ المعجزيَّةِ. وأضفت عليهم هذه القوَّاتُ هيبةً وجمالاً حتى لدى من
هم خارجُ الكنيسة. أيضًا، في سفرِ أعمالِ الرِّسْلِ 4: 30، صلَّت الكنيسةُ أن يجري اللهُ آياتٍ وعجائبَ
بواسطةِهم كشهادةٍ عن يسوع. وتشيرُ مقاطعُ أخرى من سفرِ أعمالِ الرِّسْلِ إلى استجابةِ اللهِ بالإيجابِ
لهذه الصلاة.

يستخدمُ الروحُ القُدْسُ كل ما في الخليقةِ ليعلنَ لنا عن الله. بل وأحيانًا يتواصلُ مع البشرِ
بصورةٍ مباشرة. ويُعتبرُ هذا خبرًا سارًّا للمؤمنين. حيث يعني أننا عندما نكرزُ بالإنجيلِ، يوجدُ بداخلِ
كلِّ إنسانٍ ما يُقرُّ بصدقٍ ما نقوله. كما يعني أن كل ما نواجهه يمكنُ أن يعلمنا شيئًا له قيمةٌ من
جهةٍ علاقتنا مع الله والآخرين. بالتَّأَكُّيدِ، إن الإعلانَ الأكثرَ قيمةً الذي أعطاه لنا الروحُ القُدْسُ هو
الكتابُ المقدس. ويجب أن يكونَ هذا الإعلانُ هو دليلُنَا في تفسيرِ كلِّ إعلانٍ آخر. وفي الأساسِ،

كل إعلان، حين يتم تفسيره بشكل صحيح، له نفس الهدف. فهو يعلن مجد الله، ويدفعنا للتوبة والخلص بالنعمة، بواسطة الإيمان بالمسيح.

حتى الآن في درسنا عن عمل الروح القدس في العالم، تحدثنا عن أعماله في الخلق، والعناية، والإعلان. والآن نلتفت إلى موضوعنا الرئيسي الأخير: النعمة العامة.

النعمة العامة

يمكن لمصطلح "النعمة العامة" أن يشمل تعاليم كتابية متنوعة متصلة بقدرة البشر الخاطئة غير المخلصين على بلوغ حياة إنسانية إيجابية ومجتمع إيجابي. وتعلم نصوص مثل سفر التكوين 3 ورسالة رومية 5 أنه حين سقط آدم وحواء في الخطية، أصيب الجنس البشري كاملاً بلعنة الخطية وصار عبداً لها. إلا أن البشر الخاطئة غير المخلصين ليسوا بالسوء الذي كان يمكن أن يكونوا عليه. فهم ليسوا أشراراً وفاسدين بصورة تامة. بل هم يساعدون آخرين، ويحبون أبناءهم، ويبدعون فناً رائعاً، وينتجون اكتشافات صحيحة ونافعة في مجال الرياضيات، والطب، وغير ذلك. لكن كيف يمكن لهذا أن يكون؟ بما أن البشر غير المفيدين هم عبيد للخطية، فلماذا لا يزالون يُظهرون الصدق، والخير، والجمال؟ الإجابة هي "النعمة العامة".

أوجز لويس بيركوف الذي عاش من عام 1873-1957 م. مفهوم النعمة العامة في كتابه اللاهوت النظامي، الجزء 4، والفصل 3، والقسم ب، والفقرة 2. استمع إلى ما قاله:

حين نتحدث عن "النعمة العامة"، نقصد إما تلك الأعمال العامة التي يجريها الروح القدس والتي بها، دون أن يجدد القلب، يمارس تأثيراً أخلاقياً شديداً على الإنسان من خلال الإعلان العام أو الخاص للروح، بحيث تكبح الخطية، ويتم الحفاظ على النظام في الحياة الاجتماعية، وتعزيز العدل المدني؛ وإما نقصد تلك البركات العامة، كالأمطار وشروق الشمس، الطعام والشراب، الملابس والمأوى، التي يمنحها الله لجميع البشر دون تمييز كما يحسن في عينيه وبالقدر الذي يسره.

ذكر بيركوف نوعين رئيسيين من النعمة العامة. أولاً، تكلم عن البركات التي تكبُح الشر، بحيث "تكبُح الخطية، ويتم الحفاظ على النظام في الحياة الاجتماعية، وتعزيز العدل المدني". وثانياً، سرّد بركات تسدّد احتياجات البشر اليومية، مثل "الأمطار وشروق الشمس، الطعام والشراب، الملابس والمأوى".

كما في الكثير من المفاهيم اللاهوتية الأخرى، تُعرّف تقاليد مختلفة النعمة العامة تعريفات مختلفة. على سبيل المثال، يُعرّفها البعض بأنها تشمل هبة الحياة نفسها. ويعتقد آخرون أنها تشمل تليين قلوب الخطاة لكي يتمكنوا من الاستجابة للإنجيل بشكل إيجابي. بينما لا تستخدم بعض التقاليد المصطلح على الإطلاق. فهي تؤمن أنه إن لم يؤدّ عمل الروح القدس في النهاية إلى خلاصنا، فلا يصح أن نطلق عليه "نعمة". ومع ذلك، ولأغراضنا في هذا الدرس، سننّبج مفهوم بيركوف عن النعمة العامة بتسليط الضوء على عمل عناية الروح القدس بزيادة الخير، وتدبير احتياجات الحياة البشرية اليومية.

وتماشياً مع هذه المنهجية، ستركّز حديثنا عن النعمة العامة على فكرتين. أولاً، سنتناول عمل الروح القدس في تعزيز الخير. وثانياً، سنتناول عمله في تعزيز الحياة. لنتناول أولاً عمل الروح في تعزيز الخير داخل البشر.

تعزيز الخير

إن الروح القدس حاضرٌ وعاملٌ دائماً. ولطالما كان حاضرًا وعاملاً في العالم. وأحد مهامه في العالم هو تعزيز الخير وكبح الشر. وأعتقد أن أبسط إجابة عن سؤال كيف يفعل ذلك، وكيف نعلم أنه يفعل ذلك، هو أن نقول إن العالم، العالم الساقط، كان من الممكن أن يكون أسوأ حالاً بكثير لولا قوة الروح الكابحة في العالم، وكان من الممكن أن يكون أقلّ خيراً ممّا هو عليه بالفعل إن لم يكن الروح حاضرًا وعاملاً في العالم. يتحدّث علماء اللاهوت عن نعمة الله الخاصة، ونعمة الله العامة؛ نعمة الله العامة متاحة للجميع، بحيث يختبر جميع من يعيشون في العالم الذي يوجد فيه الروح البعض من الخير الآتي منه، بل ويتألمون مرّاتاً وفوائد كبحه للشر. أيضاً ربّما يقول المؤمنون من جميع التقاليد اللاهوتية شيئاً آخر عن

هَذَا الْأَمْرُ، وَهُوَ أَنَّنَا نَتَطَلَّعُ بِشَوْقٍ إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَ لَنْ يُوجَدَ شَرٌّ يُكَبِّحُ، وَحِينَ لَنْ يُوجَدَ سِوَى الْخَيْرِ فِي الْعَالَمِ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ.

— د. جلين كريدر

إِنَّ غَرَضَ اللَّهِ الرَّئِيسِيِّ لِلْبَشَرِ هُوَ أَنْ نَحْوَلَ الْعَالَمَ إِلَى مَلَكُوتِهِ الْأَرْضِيِّ. ظَهَرَ هَذَا بِوُضُوحٍ مُنْذُ خَلْقِهِ لِلْبَشَرِ فِي الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ 1: 26-28، أَوْكَلَ اللَّهُ لِلْبَشَرِ مُهَمَّةَ التَّسَلُّطِ عَلَى الْخَلِيقَةِ نِيَابَةً عَنْهُ بِأَنْ يَمْلَأُوا الْأَرْضَ وَيُخْضِعُوهَا. يُعْرَفُ هَذَا النَّصُّ عَادَةً بِاسْمِ "التكليف الحضاري"، لِأَنَّهُ يُوصِي بِتَأْسِيسِ الْحَضَارَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ فِي كُلِّ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ.

يتكرر هذا التركيز على ملكوت الله في كل الكتاب المقدس. ويصلُ أخيراً إلى تحقيقه في سفر الرؤيا، حيثُ يملأ ملكوت الله العالمَ بأكمله. يُذَكَّرُ هَذَا بِشَكْلِ صَرِيحٍ فِي سَفَرِ الرُّوْيَا 11: 15. وَيَقْدَمُ سَفَرُ الرُّوْيَا 21: 1-22: 5 وَصْفًا تَفْصِيلِيًّا لَمَا يَبْدُو عَلَيْهِ هَذَا الْمَلَكُوتُ: فَالْعَالَمُ بِأَكْمَلِهِ سَيَعْبُدُ اللَّهَ، الَّذِي يَمْلِكُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَرْشِهِ فِي أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةِ.

تماشياً مع هذا الهدف للخليعة، يتحكَّمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِي عِنَايَتِهِ بِالْبَشَرِ عَلَى نَحْوِ يَتِيحِ إِمْكَانِيَّةِ امْتِدَادِ الْحَضَارَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَاسْتِقْرَارِهَا. عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، يَقِيمُ الْحُكُومَاتِ الْمَدِينِيَّةِ لِكَبْحِ شَرِّ الْبَشَرِ وَمَعَاقِبَتِهِ، كَمَا عَلَّمَ بُولُسُ فِي رِسَالَةِ رُومِيَّةِ 13: 1-7. وَيَهْبُ الْبَشَرُ بِوَجْهِ عَامٍ حَسًّا عَامًّا بِالْعَدَالَةِ وَالضَّمِيرِ، كَمَا عَلَّمَ يَسُوعُ فِي إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا 16: 8-11، وَكَمَا أَكَّدَ بُولُسُ فِي رِسَالَةِ رُومِيَّةِ 1: 32، وَرِسَالَةِ 2 كُورِنْثُوسَ 4: 2. بِالتَّأَكِيدِ عَادَةً مَا يَرْفُضُ الْبَشَرُ الْخَطَاةَ أَحْكَامَ ضَمَائِرِهِمُ الْمَعْطَاةَ لَهُمْ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ. لَكِنْ تَظَلُّ تِلْكَ الضَّمَائِرُ تَمَارِسُ تَأْثِيرًا صَوْبَ تَحْقِيقِ الْخَيْرِ فِي حَيَاةِ الْبَشَرِ وَفِي الْمَجْتَمَعِ.

أَيْضًا يَعْطِي الرُّوحُ الْبَشَرِ حِكْمَةً وَفِطْنَةً كَافِيَةً لِتَمْيِيزِ قَدْرِ مَا عَلَى الْأَقْلِ مِنَ الْحِكْمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ. عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، فِي سَفَرِ 1 الْمُلُوكِ 10، وَ2 أَخْبَارِ الْأَيَّامِ 9، أَقْرَبَتْ مَلَكَةٌ سَبَأَ الْأُمَمِيَّةِ بِحِكْمَةِ سَلِيمَانَ وَأَبْدَتْ احْتِرَامَهَا لَهَا. يُوْحِي هَذَا ضَمْنًا بِأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ مَنْحَهَا حِكْمَةً كَافِيَةً مَيَّرَتْ بِهَا حِكْمَةَ سَلِيمَانَ حِينَ رَأَتْهَا. وَيُمْكِنُ قَوْلُ الشَّيْءِ ذَاتِهِ عَنِ الْحَقِّ فِي جَمِيعِ مَجَالَاتِ الْمَعْرِفَةِ. فَكَمَا تُوْحِي رِسَالَةُ يَعْقُوبَ 1: 17، إِنْ كَلَّ حَقٌّ هُوَ حَقُّ اللَّهِ. وَيَظَلُّ الْحَالُ هَكَذَا حَتَّى حِينَ يَكْتَشِفُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَقَّ. صَاغَ أَلِيَهُو الصَّغِيرُ فِي الْأَيَّامِ، وَالصَّدِيقُ الْحَكِيمُ لِأَيُّوبَ، الْأَمْرَ عَلَى هَذَا النَحْوِ فِي سَفَرِ أَيُّوبَ 32: 8:

وَلَكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحًا، وَنَسَمَةً الْقَدِيرِ تُعْقِلُهُمْ (أيوب 32: 8)

هنا أشار أليهو إلى أن كل معرفة حقيقية وفهم حقيقي يأتي من الله. ويوجي ربط المعرفة بأرواحنا ونسمة الله أن الروح القدس هو أفنوم الثالوث الذي يهب هذه المعرفة. علاوة على ذلك، يدير الروح القدس بعنايته العالم بحيث يميل السلوك الجيد إلى إحداث نتائج جيدة. هذه نقطة أساسية يطرحها أدب الحكمة في الكتاب المقدس، مثل سفر الأمثال. وهو ينطبق على جميع المجتمعات البشرية. على سبيل المثال، في الغالب ينتج عن تأديب وتنشئة الأبناء جعلهم أشخاصًا بالغين أكثر تحضرًا وتحملًا للمسؤولية. وتميل معاملة الآخرين بلطف وإنصاف إلى جعلهم يعاملونك بالمثل. والجواب اللين يصرف الغضب، لكن الكلمات القاسية تستثيره - بغض النظر من أنت.

والأكثر من هذا أن الروح القدس أحيانًا ما يعزز الخير بمعاقبته لفاعلي الشر بل وأحيانًا بقتلهم. نرى هذا المبدأ في المزمور 75: 5-8، وفي سفر إشعياء 59: 15-21. وكما نقرأ في المزمور 76: 10-12:

[بالتأكيد غَضَبَكَ على البشر] يَحْمَدُكَ، [والنَّاجُونَ مِنْ غَضَبِكَ يُكَبِّحُونَ] (ترجمة NIV الإنجليزية). أَنْذَرُوا وَأَوْفُوا لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ يَا جَمِيعَ الَّذِينَ حَوْلَهُ. لِيَقْدِمُوا هَدِيَّةً لِلْمَهُوبِ. يَقْطِفُ رُوحَ الرُّوسَاءِ. هُوَ مَهُوبٌ لِمُلُوكِ الْأَرْضِ (المزمور 76: 10-12).

كمثال على هذا، تذكر إهلاك الله لجيش المصريين الأشرار في البحر الأحمر في سفر الخروج 14. وضع هذا نهاية لاضطهادهم لإسرائيل، وأعاق بشدة قدرتهم على إزعاج ومضايقة أمم أخرى أيضًا.

إن إدارة الروح القدس للعالم بعنايته هي السبب الرئيسي الذي لأجله لم تدفع الخطية كل المجتمع البشري إلى تدمير نفسه. فهو يمنع غير المؤمنين من أن يكونوا أشرارًا بالقدر الذي يمكنهم أن يصيروا عليه، كما يحدث من الضرر الذي يتسببون فيه. وعلاوة على ذلك، ينشئ تأثيره الإيجابي حكومات عادلة، وعلاقات ودية، وعائلات محبة. وتسمح لنا هباته الفكرية باكتشاف حقائق نافعة في

جميع مجالات المعرفة والإنجازات البشرية. ببساطة، إن الصلاح الإلهي للروح القدس هو ما يُمكن كل خير لدى المخلوقات في العالم.
الآن وقد أجمَلنا كيف تتضمنُ النعمةُ العامةُ تعزيزَ الخير، لنتجهُ إلى عملِ الروح في تعزيز الحياة.

تعزيز الحياة

كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلًا فِي هَذَا الدَّرْسِ، حِينَ يَتَحَدَّثُ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ عَنِ عَمَلِ عِنَايَةِ الْآبِ، فَإِنَّهُ يَقْصِدُ بِوَجْهِ عَامِ سُلْطَانِ الْآبِ عَلَى مَلَكُوتِهِ. لَكِنَّ الرُّوحَ الْقُدْسَ هُوَ مَنْ يَتِمُّ أَحْكَامَ الْآبِ. وَأَحَدُ الْوَسَائِلِ الَّتِي بِهَا يُعَزِّزُ الرُّوحُ الْقُدْسُ الْحَيَاةَ هُوَ الْحِفَاظُ عَلَى النِّظَامِ الطَّبِيعِيِّ لِلْعَالَمِ، بِحَيْثُ يَتِمَّكَّنُ النَّبَشْرُ مِنَ الْحُصُولِ عَلَى الضَّرُورَاتِ الْيَوْمِيَّةِ كَالطَّعَامِ وَالْمَاءِ. ذَكَرَ بولسُ إِعَالَهَ اللهُ لَجَمِيعِ الْبَشَرِ فِي سَفَرِ أَعْمَالِ الرِّسْلِ 14: 15-17، حَيْثُ أَخْبَرَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي لِسْتِرَةَ بِالْآتِي:

نُبَشِّرُكُمْ بِأَنْ تَرْجِعُوا... إِلَى اللَّهِ الْحَيِّ صَانِعِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْبَحْرِ، وَكُلِّ مَا فِيهَا، ... مَا زَالَ يُنْعِمُ عَلَيْكُمْ بِالْخَيْرِ، وَيَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ أَمْطَارًا وَمَوَاسِمَ مُثْمِرَةً، وَيُشْبِعُكُمْ طَعَامًا (أَعْمَالِ الرِّسْلِ 14: 15-17، تَرْجِمَةُ كِتَابِ الْحَيَاة).

أَيْضًا يَعَزِّزُ الرُّوحُ الْقُدْسُ الْحَيَاةَ بِالسَّمَاحِ لِلْبَشَرِ بِإِنجَابِ الْأَطْفَالِ وَتَنْشِئَتِهِمْ. وَيَرِدُ ذَكَرُ سُلْطَانِهِ عَلَى تَكَاثُرِ النَّسْلِ الْبَشَرِيِّ فِي مَوَاضِعَ مِثْلِ سَفَرِ التَّكْوِينِ 20: 18، 29: 31؛ وَسَفَرِ التَّنْثِيَةِ 28: 11، 30: 9؛ وَالْمَزْمُورِ 113: 9. وَيُظْهِرُ هَذَا أَيْضًا فِي نصوصٍ تَعَلِّمُ بَأَنَّ الْأَبْنَاءَ هُمْ هِبَةٌ مِنَ اللَّهِ، مِثْلِ سَفَرِ التَّكْوِينِ 33: 5؛ وَسَفَرِ يَشُوعَ 24: 3، 4. كَمَا نَقَرْنَا فِي الْمَزْمُورِ 127: 3:

هُوَذَا الْبُنُونَ مِيرَاثٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، ثَمَرَةُ الْبَطْنِ أُجْرَةٌ (الْمَزْمُورِ 127: 3).

والأكثر من هذا، إن الروح القدس طويل الأناة، ورؤوف، ورحيم تجاه جميع البشر، ويشمل هذا من لا يقبلون البتة إلى الإيمان. نرى هذا في المزمور 145: 8، 9؛ وسفر إشعياء 26: 10؛

ورسالة رومية 2: 4، 5، وفي الكثير من المواضع الأخرى. وكمثال على هذا، استمع إلى ما قاله يسوع في إنجيل لوقا 6: 35:

بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجُونَ شَيْئًا، فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيمًا وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ، فَإِنَّهُ مُنْعَمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالْأَشْرَارِ (لوقا 6: 35).

علم يسوع أن أحد النواحي التي لا بد للمؤمنين أن يشابهوها الله فيها هي أن يحبوا أعداءهم ويحسنوا إليهم. تصير هذه الوصية منطقية فقط إن كان الله نفسه محبًا لأعدائه ومحسنًا إليهم – وهو كذلك بالفعل.

يَعْلَمُ اللهُ مِنْ سَيُؤَمِّنُ بِهِ وَيَخْلُصُ وَمِنْ لَنْ يَفْعَلَ هَذَا. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ وَاضِحٌ وَضُوحَ الشَّمْسِ فِي إِخْتِوَائِهِ عَلَى مَا يُمَكِّنُ أَنْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ نَوْعًا "خَالِقًا" مِنَ الْمَحَبَّةِ تُجَاهَ جَمِيعِ الْبَشَرِ. وَلِهَذَا، عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ إِنَّ اللَّهَ يُسْقِطُ الْأَمْطَارَ عَلَى كُلِّ مِنَ الْأَنْبَارِ وَالظَّالِمِينَ. فَاللهُ لَا يُسْقِطُ الْأَمْطَارَ فَقَطْ فَوْقَ حَقْلِ الْمَزَارِعِ الْمُؤْمِنِ، بَلْ يَجْعَلُ الْأَمْطَارَ تَسْقُطُ عَلَى حُقُولِ كِلَيْهِمَا. وَبِالتَّالِي لِأَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ مُحِبٌّ، وَلِأَنَّهُ خَلَقَ الْجَمِيعَ عَلَى صُورَتِهِ، فَهُوَ لَدَيْهِ مِنْ جِهَةِ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْإِهْتِمَامِ الْخَالِقِ وَمِنَ الْمَحَبَّةِ تُجَاهَ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ. وَلَكِنْ أَظُنُّ أَنَّهُ يَكُنُّ مُحِبَّةً أُبْوِيَّةً خَاصَّةً لِمَنْ يُطْلِقُ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ "الْمُخْتَارِينَ"، الْمَقْدِيَّينَ، أَيَّ مَنْ يَقْبَلُونَ إِلَيْهِ بِالْفِعْلِ فِي تَوْبَةٍ وَإِيمَانٍ. وَهَكَذَا، يُوجَدُ نَوْعٌ خَاصٌّ مِنَ الْمَحَبَّةِ لَدَى اللَّهِ، لَكِنْ لَدَيْهِ أَيْضًا نَوْعٌ عَامٌّ مِنَ الْمَحَبَّةِ، وَنرى الْبُرْهَانَ عَلَى ذَلِكَ فِي خِدْمَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ بِإِهْتِمَامِهِ بِجَمِيعِ الْبَشَرِ.

— د. داني أكين

يُهِدَفُ تَعْزِيرُ الرُّوحِ لِلْحَيَاةِ، نَظِيرُ تَعْزِيرِهِ لِلْخَيْرِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ، أَيْضًا إِلَى بِنَاءِ مَلَكُوتِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ. فَهُوَ يُمَكِّنُ الْبَشَرَ مِنْ إِخْضَاعِ الْأَرْضِ، وَالنَّسَلُطِ عَلَى مَخْلُوقَاتِهَا، وَمَلَأَ الْعَالَمَ بِصُورِ اللَّهِ. لَكِنْ يَتَمَيَّزُ الرُّوحُ، فِي تَعْزِيرِهِ لِلْحَيَاةِ، بِالسَّخَاءِ الشَّدِيدِ، حَتَّى أَنَّهُ يَهْبُ الْخَطَاةَ خَيْرَاتٍ لَيْسَتْ ضَرُورِيَّةً لِلتَّكْلِيفِ الْحَضَارِيِّ.

سابقاً في هذا القسم من درسنا، اقتبسنا من كلمات بولس إلى مدينة لسترة لغير المؤمنة في سفر أعمال الرسل 14، حيث أخبرهم بأن الله خلق العالم، وأمدّه بصورة مستمرة بالطعام. لكن استمع إلى الشيء الأخير الذي قاله بولس لهم في سفر أعمال الرسل 14: 17:

[الله الحيّ] يَمَلُّ قُلُوبَكُمْ سُوراً (أعمال الرسل 14: 17، ترجمة كتاب الحياة).

بقدر ما قد يبدو هذا مذهلاً ورائعاً، فإن الروح القدس سخّي للغاية ومُنعمٌ حتى أنه يسمح لجميع البشر - وهذا يَشْمَلُ من يبغضونه - بأن يختبروا فرحاً قلبياً في حياتهم. تُعدُّ خِدْمَةُ النِّعْمَةِ العَامَّةِ الَّتِي يُؤَدِّيهَا الرُّوحُ القُدُّسُ سَبَباً ضَخْمًا يَجْعَلُنَا نُبْجَلُهُ وَنُكْرِمُهُ. فَهِيَ تَعْبِيرٌ عَن لُطْفِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَطُولِ أُنَاتِهِ تُجَاهَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ. وَهِيَ أَسَاسُ كُلِّ خَيْرٍ وَتَرْتِيبٍ فِي المَجْتَمَعِ البَشَرِيِّ. وَهَذَا سَبَبٌ يُدْفَعُ غَيْرَ المُؤْمِنِينَ إِلَى التَّوَقُّفِ عَن مُقَاوَمَةِ اللهِ، وَالتَّوْبَةِ عَن خَطَايَاهُمْ، وَنَوَالِ العُفْرَانِ فِي المَسِيحِ.

الخاتمة

في هذا الدرس عن عمل الروح القدس في العالم، تحدثنا عن عمله في الخلق حين بدأ الكون، ووصفنا بوجه عام عمل عنايته من جهة الطبيعة والبشر. كما تناولنا عمله في الإعلان من خلال استطلاع نماذج عديدة تصفه، ومن خلال الإشارة إلى أن الروح هو مصدر كل إعلان. ثم أجمّلنا عمله في النعمة العامة من حيث تعزيز الخير والحياة. إن حضور الروح القدس في العالم له نتائج بعيدة المدى. فكما رأينا، يشكّل الروح الوجود، ويعضّده، ويُدِيرُهُ من اللحظة الأولى من الخلق. فكل الحياة، وكل التاريخ، وكل الواقع يعتمد على عمله، وهذا كله تعبير عن هذا العمل. لذلك ينبغي أن يكون هذا مصدرًا كبيرًا للثقة والتشجيع للمؤمنين. فالله نفسه حاضرٌ معنا في كل لحظة. وهو يعولنا. ويحمينا. ويحبنا. وهو يتحكم في كل جانب من جوانب الخليقة بطرق ستأتي في النهاية بملء ملكوته إلى الأرض، وبملء بركاته إلينا.

د. ق. عماد عزمي ميخائيل (المقدم) هو راعي ولاهوتي مصري قام بالتدريس في عدة كليات وكنائس في الشرق الأوسط وأماكن أخرى. وهو حاليًا مدير كلية الإرسالية العظمى بمصر، ويكتب تفسيرًا لرسالة رومية باللغة العربية. حصل د. عماد على درجة الماجستير في اللاهوت الرعوي (M.Div.) من كلية جريس اللاهوت، ودكتوراه في الخدمة المسيحية (D.Min.) من كلية ترينيتي للاهوت والخدمة.

د. داني أكين هو مدير كلية الجنوب الشرقي المعمدانية للاهوت.

د. جريج أليسون هو أستاذ اللاهوت المسيحي في كلية اللاهوت المعمدانية الجنوبية.

د. دينيس جونسون هو العميد الأكاديمي وأستاذ اللاهوت العملي في كلية وستمنستر للاهوت بكاليفورنيا.

د. جلين كريدنر هو أستاذ الدراسات اللاهوتية بكلية دالاس للاهوت.

ق. مايك أزبورن هو الراعي الشريك لكنيسة الجامعة المشيخية بأورلاندو، فلوريدا.

د. جريج بيرري هو نائب الرئيس للمشروعات الاستراتيجية في خدمات الألفية الثالثة (وسابقًا أستاذ مشارك للعهد الجديد ومدير مبادرة خدمة المدينة بكلية كوفيننت للاهوت).

د. ريتشارد برات، الابن هو المؤسس المشارك ورئيس خدمات الألفية الثالثة.

ق. د. جاستين تيري هو عميد ومدير كلية ترينيتي للخدمة، وكذلك أستاذ اللاهوت النظامي.

د. سايمون فيبيرت هو الراعي السابق لكنيسة القديس لوقا، ويمبلدون بارك، بالمملكة المتحدة، ويشغل حاليًا منصب نائب مدير ويكيليف هول، بأكسفورد، ومدير كلية الوعظ.

قائمة المصطلحات العسرة

- الإعلان بالعمل** - إعلانُ الله عن ذاته من خلال أعماله وأفعاله.
- الإعلان غير المباشر** - الإعلان الذي يأتي من خلال وسيطٍ أو وسيلةٍ ما ليست بشكل مباشر من الله نفسه.
- لويس بركوف** - (1873-11957) لاهوتي مصلح مؤثر كتب كتاب اللاهوت النظامي في عام 1932.
- النعمة العامة** - إحسان الله الذي يظهره لكل الناس.
- التكليف الحضاري** - الأمر في تكوين 1: 28 الذي يوصي البشرية بتطوير الخليقة والتسلط عليها لإظهار مجد الله.
- أورشليم الجديدة** - المدينة العاصمة لخليقة الله الجديدة ومركزها، حيث سيقيم الله فيها عرشه السماوي ويظهر مجده لشعبه.
- الإعلان غير الفدائي** - معرفة الله التي لا يقصد منها تحديدًا تحقيق الخلاص.
- الربوبية** - فلسفة اشتهرت في القرن 17 و18 تعلم بأنه بعدما خلق الله الكون تركه ليعمل بطريقة مستقلة.
- جون أوين** - (1616-1683) عالم لاهوت انجليزي، وقسيس، ومؤلف لعدد من كتب اللاهوت الهامة.
- الإعلان العام** - استخدام الله للعالم الطبيعي وأنظمتها ليجعل وجوده، وطبيعته، وحضوره، وأعماله وإرادته معروفين لكل البشرية.
- نعمة استباقية** - نعمة من الروح القدس تأتي قبل إيمان الخلاص، وتُمكننا من اختيار مسار الخلاص.
- الاستنارة** - موهبة إلهية للمعرفة أو الفهم، وهي في الأساس إدراكية، تُسند لعمل الروح القدس.
- العناية الإلهية** - عمل الله النشط في التاريخ بينما ينفذ خطته الأزلية لخليقته ولخير شعبه.
- الإعلان المباشر** - إعلان يأتي من الله مباشرة.
- راحاف (ῚῚῚ)** - كلمة عبرية (بحروف عربية) تعني "يرف" (كما هو الحال مع طائر يعتنى بأطفاله).
- الإرشاد الداخلي** - موهبة إلهية للمعرفة أو الفهم، وهي في الأساس عاطفية أو حدسية، تُسند لعمل الروح القدس.
- الإعلان الفدائي** - معرفة الله بغرض تحقيق الخلاص.
- نعمة لا تقاوم** - نعمة من الروح القدس تضمن أن نختار مسار الخلاص.

الإعلان - توصيل الله للحق إلى الإنسان.

الإعلان الخاص - كشف الله عن ذاته وعن إرادته لعدد معين من الأشخاص من خلال الأحلام، والرؤى، والأنبياء، والكتاب المقدس، والطرق الأخرى المشابهة.

دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر المُفصّل - ملخص بروتستانتية كلاسيكي للتعاليم المسيحية تم نشره في الأصل في عام 1647، وهو أكثر شمولاً من دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر المُوجز.

الإعلان الفائق للطبيعة - معرفة الله التي تأتي مباشرة من الله، أو من رسله.

الإعلان بالكلمة - كشف الله عن ذاته بواسطة كلماته الموحى بها، سواءً كانت منطوقةً أو مكتوبة.